نظرة الإسلام للشعر
من خلال الكتاب والسنة

الدكتور

نبـيـل أحمد عبد العزيز رفاعي

كلية الدراسات الإسلامية بنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

أما بعد..

قبل الدخول فى موضوعنا يطيب لى أن أقدم له بوجهة نظر خاصة فنقول – وبالله التوفيق– إن لكل فكرة ، أو خاطرة تجول بعقل أو فكر الإنسان دوافع وأسباباً مكونة لهذه الفكرة ، فتظل تؤرق فى عقل المبدع ، وتؤجج فى مشاعره ، وتشغل كيانه كله. حتى إذا ما اختمرت فى العقل، واكتملت جميع جوانبها، نجده لا يهدأ له بال إلا إذا أفرغ تلك الشحنة التى بداخله، وعبر عنها بطريقة، أو بأخرى – بالقول أو الكتابة – أقول ذلك لأن ما دفعنى للكتابة فى هذا الموضوع إنما هى فكرة جالت بخاطرى، وأججت مشاعرى؛ تلك التى تكونت عندى من خلال القراءة فى الأدب الإسلامى، والتى وضح لى من خلالها مدى الحقد، والكراهية التى يكنها أعداء الإسلام فى صدورهم ضد الدين الإسلامى الحنيف وتتمثل هذه الكراهية فى طعناتهم القاتلة، واتهاماتهم الباطلة الموجهة إلى الدين الإسلامى عامة، وإلى النبى ﷺ خاصة، وكان ذلك، كما نعلم فى بداية الدعوة، وما أشبه اليوم بالبارحة فبعد أربعة عشر قرناً من الزمان تعود الأمور إلى ما كانت عليه فيوجه أعداء الإسلام اتهامات جديدة تواكب ركب التقدم والحضارة والمدنية مدعين أن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان، ولا يفى بمتطلبات الحياة ليشوهوا صورته أمام الناس، فلا نملك إلا أن نقول ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾"[1]صدق الله العظيم.

هذا ولم يقف أعداء الإسلام عند هذا الحد بل أرادوا أن يشككوا بعض المسلمين فى عقيدتهم، ويبينوا لهم من خلال كتاباتهم المتسرعة أن هناك تعارضاً بين القرآن والسنة النبوية الشريفة، فهم يرون من وجهة نظرهم الباطلة أن القرآن يحرم الشعر،

---

(١) سورة الكهف آية٥ .

ويدعون أن ذلك واضح فى قول الله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون* ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لايفعلون﴾"[١] صدق الله العظيم. فى حين أن النبى ﷺ اتخذ الشعر سلاحاً للدعوة، وشجع على قوله، وقرب الشعراء إليه، وعلى رأسهم سيدنا "حسان بن ثابت" رضى الله عنه والذى كان يأمره النبى ﷺ بهجاء قريش مستدلين فى ذلك بالحديث الصحيح، الذى رواه البراء بن عازب رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت "اهجهم، أو هاجهم وجبريل معك"[٢] يأتون بالدواء المر عليه غلاف، أو قشرة رقيقة من السكر، يخادعون الله والذين آمنوا معه، لكنهم فى الحقيقة يخدعون أنفسهم دون أن يشعروا بذلك. خداعهم يبدو للناظر إليه نظرة عابرة دون وعى، أو تدبر وفهم، أن السنة تخالف القرآن كما يزعمون، مع أنها هى التى وضحت المجمل منه وفصلته، تبّا لهم فليس لهم قصد من وراء ذلك إلا أن يوقعوا الأضطراب فى نفوس المذبذبين، وضعاف الإيمان.

وهنا نجد سؤالا يطرح نفسه كيف يكون الرد على من غلبهم الهوى لرأيهم فلم يفقهوا كلام ربنا تبارك وتعالى، ولا حديث نبينا صلى الله عليه وسلم؟ والدليل على عدم فهمهم، أنهم أخذوا ما يحلو لهم من آيات وتركوا الآية التى يتضح بها المعنى، وتتم بها الفائدة، مثلهم فى ذلك مثل الذى يقول قال الله تبارك وتعالى ﴿ولا تقربوا الصلاة﴾ وليس له قصد من وراء ذلك – أى القائل أو المستدل بالآية – إلا أن يمنع الناس عن أداء فريضة الصلاة. لأنه يعلم أن هذا جزء من آيه وليس آية تامة تتم بها الفائدة، فهذه إحدى طرق خداعهم الفكرى. وللرد على هؤلاء المخادعين نقول : لو أنهم قرأوا الآيات قراءة كاملة، بفهم وتدبر لوضح لهم الأمر، وتبينوا أن الله تعالى قد ذم فى هذه الآيات جماعة معينة من الشعراء، وهى الجماعة التى وهبت نفسها لذم النبى ﷺ وذم ما جاء به من تعاليم، كما سيتضح لنا من خلال عرضنا للشعر على الكتاب، والسنة فى الصفحات التالية.

وقد جاء البحث بعد المقدمة فى تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة :-

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٤:٢٢٦ .

(٢) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى – كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت – دار إحياء التراث العربى، بيروت – جـ٤ – صـ١٩٣٣ – حديث رقم ٢٤٨٦ .

أما التمهيد: فقد جاء عنوانه :مكانة الأدب والشعر خاصة فى فترة التشريع :-

وأما المبحث الأول فعنوانه : موقف الإسلام من الشعر من خلال الكتاب .

وأما المبحث الثانى فعنوانه : موقف الإسلام من الشعر من خلال السنة ..

وأما المبحث الثالث فعنوانه : الشعر قناة إعلامية هامة لتوصيل الرسالة إلى الناس.

وأما المبحث الرابع فعنوانه : النبى ﷺ ناقداً .

وأما المبحث الخامس فعنوانه : الرد على من يقول بتناقض القرآن مع الحديث .

الخاتمة : فيها خلاصة البحث وأهم نتائجه

نسأل الله تبارك وتعالى أن يلقى هذا البحث القبول ، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا.

التمهيد

مكانة الأدب والشعر خاصة فى فترة التشريع

لقد نال الأدب مكانة عظيمة فى عهد النبى ﷺ يدل على ذلك تشجيعه ﷺ على قوله – الشعر– أو إقراره لمن يقول به ، أو الإعتناء به والإهتمام بالأدباء والخطباء والشعراء نظراً لحاجة الدعوة الإسلامية إليهم فما كان من الممكن أن تصل دعوته ﷺ لمن بعُد عنه إلا من خلال هذه الأدوات الأدبية التى برع فيها العرب قاطبة .

ولقد نال الشعر خاصة مكانة كبيرة ودرجة عالية من اهتمام النبى ﷺ به، يتضح ذلك من خلال اهتمامه وتقريبه للشعراء النابغين والذين يملكون قدراً كبيراً من الحصافة، والقدرة الشعرية البالغة والتى تصل لحد الإرتجال فى قول الشعر، فمن قدرتهم علمهم بأحوال العرب فى العصر السابق لهم، وعلمهم كذلك بأنسابهم وأحسابهم ومكانتهم ، فائدة ذلك أن الإسلام لا يودُّ أن يتحدث الشاعر فى خطابه إلى الناس إلا ويضع كل واحد منهم فى مكانته الطبيعية ، فمن المخاطبين صاحب حسب ونسب لابد أن يوجه إليه الخطاب مذكراً إياه بحسبه ونسبه وجاهه فى قوة دون إستجداء، هدف الشاعر من ذلك أن يتغلغل إلى مشاعره وأحاسيسه ووجدانياته وأفكاره حتى يصل به إلى الطريق الصحيح ، ومع هذا إلا أن الشعراء كانوا قاسين فى التنديد ممن هاجموا الإسلام، أو أرادوا النيل منه ومن مكانته ومكانة نبيه ﷺ ، ومن الشعراء الذين ينطبق عليهم هذا القول سيدنا حسان رضى الله عنه وهو شاعر النبى ﷺ

إلا أننا لابد أن نعلم مع أن النبى ﷺ أقرّ قول الشعر ، وأمر به إلا أنه لم يهيأ لقول هذا الشعر وذلك بنص القرآن الكريم ، يقول الله تبارك وتعالى " ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ "[1] مع أنه أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء ، واقدر الناس على قول هذا الفن الأدبى إلا أن الله تبارك وتعالى لم يهيأه لذلك وهو ما سيتضح لنا من خلال الدراسة فى الصفحات التالية .

---

(١) سورة يس – الآية رقم ٦٩ .

المبحث الأول

موقف الإسلام من الشعر من خلال الكتاب:

اتضح لنا مما سبق أن أعداء الإسلام يستندون فى تحريمهم للشعر إلى قول الله تعالى"﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لايفعلون ﴾" [١] مبينين أن الله تبارك وتعالى قد وصف الشعراء بصفات سيئة نالت منهم وأوجعتهم ، وهذه حقيقة ، لكن ما فاتهم بسبب عدم فقههم هو " أن الكتاب العزيز لا يحارب هذا الفن الأدبى لذاته ، وإنما يحارب فئة خاصة من الشعراء ، وهم أولئك الذين دأبوا على هجاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإنشاد شعرهم الذى قالوه فى هجائه ، كما يحارب الغاوين الضالين من الشعراء الذين جعلوا يتغنون بأشعارهم ويذيعونها بين الناس . ثم أضاف إلى ذلك الشعراء الذين كانوا يهيمون وراء أحلامهم الضالة ، ويخضعون لانفعالاتهم الفاسدة ، ولا يميّزون بين الحق والباطل ، فيمزقون بشعرهم الأعراض ، ويعرون النساء ، ويرمون المحصنات ، ويمدحون من لايستحق المدح ، ويذمون من لا يستحق الذم ، وهم فوق ذلك يقولون ما لا يفعلون ، فيشيدون بالجود مع أنهم لا يفعلونه ، ويذمون البخل وهم يأتونه" [٢] وهذا ما قصده القرآن الكريم ، وهدف إليه من خلال الآيات الثلاث التى استدل بها المخادعون ، وفهموها فهما خاطئا وقد أتبع الله تبارك وتعالى الآيات التى ذم فيها أصحاب القول الفاسد من الشعراء ، والذين يقولون الرفث فى أشعارهم ، بآية تبدأ بالاستثناء ، وهى الآية التى تركها أعداء الإسلام عند طرحهم للقضية ؛ وذلك لعدم فقههم ولَيْتَهُمْ يفقهوا " أن الآيات تتحدث عن مجموعتين من الشعراء : أولاهما ": يتبعهم الغاوون .... فى كل واد يهيمون .... يقولون

---

(١) سورة الشعراء – الآية رقم ٢٢٤ : ٢٢٦ .

(٢) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده – د/رأفت الباشا – دار الأدب للتوزيع والنشر – ط الثالثة ، ١٩٩٦م ، ص٢٧ .

ما لايفعلون" وثانيهما : "الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا " وتبدأ بالحديث عن الأولى فى حكم له صفة العموم ثم تستثنى منه المجموعة الثانية إلا الذين آمنوا .... ، ولا نعتقد أن إستثناء (الذين آمنوا ...، الخ) يصح أن يكون من الغاوين ، لأن الذين آمنوا لا يدخلون ضمن الغاوين حتى يستثنوا منهم ، ولا نظن أن الاستثناء منقطع : أى أن المستثنى من شئ غير المستثنى منه ، لما فى هذا من اللبس الذى لايصح تصوره ، وإذا كان الاستثناء المنقطع قد ورد فى القرآن الكريم ، فإن له ما يبرره فى جميع ما ورد عنه من ذلك قوله تعالى :﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس﴾"[١] إذ كان التوكيد المكرر ينفى وقوع اللبس بحسبان إبليس واحدا من الملائكة ، وقوله تعالى :﴿ مالهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ "[٢] لأن النفى وتوكيده بحرف الجر الزائد (من) يقطعان باستغراق نفى العلم ، وعندئذ لا يلبس على القارئ أن اتباع الظن من جنس العلم ... وليس فى آية الشعراء ما ينفى وجود هذا اللبس ، لو اعتبر الذين آمنوا استثناء من الغاوين ، وهم فى الحق ضد لهم ، فلم يبق إلا أن يكون هؤلاء مستثنين من الشعراء ، وعندئذ يصبح المعنى والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الشعراء الذين آمنوا "[٣] فهذا الاستثناء يؤكد لنا أنه بعد أن ذم الله الشعراء الذين ينتهكون أعراض الناس ، ويقولون الفاحش من القول ، نجده يستثنى طائفة منهم ، وهم الذين آمنوا بالله ، واهتدوا بهديه ، واتبعوا سنة نبيه ﷺ ، وساروا على نهجه ، وجندوا أنفسهم لفعل الخير ، وعمل الصالح " إن هؤلاء الشعراء قد استثناهم الكتاب الكريم من تلك الحملة التى حملها على الآخرين ... ورفع شأنهم على سائر الشعراء ، ووصفهم بأنهم (آمنوا وعملوا الصالحات) ولا ريب فى أن الإسلام قد أراد – فى جملة ما أراده –

---

(١) سورة الحجر– الآية رقم ٣٠ : ٣١ .

(٢) سورة النساء – الآية رقم ١٥٧ .

(٣) الأدب العربى فى صدر الإسلام ، د/عبدالسلام عبد الحفيظ ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م ، ص٥٧ : ٥٨ .

أن ينتشل هذا الفن الرفيع مما غرق فيه ، وأن ينهض به إلى المستوى الذى يليق به ، وأن يوجه الشعراء الوجهة الصالحة ، وأن يأخذ بأيديهم لأداء رسالتهم فى الحياة . فهم إذا أفعموا النفوس بحرارة الإيمان وملأوا القلوب بمُثل الإسلام ، وشحذوا العزائم بروح التضحية ، وصرفوا الناس بجمال فنهم ونقائه عن الأدب الرخيص الذى تقذف به المطابع كل يوم ... إنهم إذا فعلوا ذلك نالوا رضا الله ، وفازوا بثوابه "[١] مما سبق يتضح لنا أن الإسلام لا يحارب الشعر لذاته محاربة مطلقة يقصد بها العموم ، وإنما يحارب الشعر الفاسد الذى يصدر عن الشعراء الأشرار الذين أرادوا النيل من دين الله ، ومن رسول الله ﷺ ، ويا للعجب لقولهم فلا أدرى كيف يحارب الإسلام الشعر مع أنه سلاح ماض من الأسلحة التى استخدمها النبىﷺ ضد أعداء الدين ؟ كيف يحارب الإسلام الشعر وقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعر الرسول ﷺ ، والمؤيد بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ؟!

إن الكيس الفطن يعلم تمام العلم لو أنه نظر بتأمل وتدبر إلى الشعراء فى فترة التشريع وهم إلى جوار النبى ﷺ أن قلوبهم وضمائرهم خضعت لحب الله تبارك وتعالى ، وأصبحوا لا يقولون إلا ما تركن إليه نفوسهم المؤمنة المطمئنة ، ولاعجب فى ذلك فهم الذين يتدربون على العمل الصالح على يد أفضل خلق الله محمد ﷺ ، فلم يكن جُلّ همهم إلا دفع الظلم عن دينهم وعن نبيهم ، ثم تدرج الأمر فاهتموا بقضايا الدعوة رغبة فى انتشارها وبغية وصولها إلى ربوع الأرض مدافعين عنها ، عندئذ برزت مكانة الشعر والشعراء حيث حدث الصراع المتوقع بين الحق والباطل ، بين الشعراء الغاوين ، وبين الذين يذكرون الله ذكراً كثيراً ، فالفئة الضالة تهاجم الدين الجديد وتهاجم نبيه ﷺ وتطعن فيهما ، والفئة المؤمنة ترد عليهم فى معجم إسلامى جديد تحث بعضهم على الطاعة

---

(١) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده ، د/رأفت الباشا ، دار الأدب الإسلامى للتوزيع والنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م ، ص ٢٨ .

والدخول فى دين الله ، وتهجم على البعض الآخر ممن جمدت قلوبهم وقست ، وكرهوا من أجل الكراهية لا غير .

لقد أحدث الشعر تغيراً جذرياً فى المجتمع متمثلاً ذلك فى إعلاء كلمة الله ، وأخذ هذا الاهتمام يزيد يوماً بعد يوم حتى بعد وفاة النبى ﷺ ، فكم كان دور الشعر رائعاً وعظيماً فى حروب الردة لردع من أرادوا أن يمنعوا الزكاة وعدم إعطائها لخليفة النبى ﷺ ، من التطور أيضاً الاهتمام الواضح بتصوير المغازى والفتوحات الإسلامية ، والإعتزاز بالأبطال من خلال تصوير بطولاتهم فى ميادين الجهاد . فالشعر فى عهد النبوة يختلف إختلافاً كبيراً عما كان ذى قبل ، اختلف فى الهدف ، واختلف فى المعجم من حيث الألفاظ والمعانى ، فالشعر الإسلامى صادرٌ عن نفوس مؤمنة تربت وتدربت على يد رسول الله ﷺ ، وجاءت الفاظهم لا تحمل إلا معانٍ قيمة تدعو إلى الفضيلة وترك الرذيلة ، تدعو إلى العمل الصالح والتحلى بالصفات الكريمة ، والتخلى عن عادات الجاهلية الحمقاء التى يرفضها الإسلام الذى جاء بمبدأ لا فرق بين عربى ولا أعجمى إلا بالتقوى فميزان التقدم والرقى وعلو الشأن فى الإسلام هو "التقوى" .

قد تعجب عزيزى القارئ إن سمعت لما هو أبعد من هذا كله ، مما يدلك على أن الإسلام لا يحارب شعر الفضيلة مطلقاً ، بل يحارب شعر الرذيلة والكلمة الخبيثة ، ويُعجب بكل ما هو ذا قيمة وهدف نبيل ، فلقد أُعجب سيدنا عمر بشعر من أشعار غير المسلمين "لا لشئ إلا لأنه من الناحية الفنية لايعاظل بين الكلام، ومن الناحية الأخلاقية لا يمدح الرجل إلا بما فيه"[١]، وتمثلت السيدة عائشة رضى الله عنها بشعر لشاعر غير مسلم وسمعه منها النبى ﷺ وهى تتمثل به ولم يُنكر عليها ذلك كما سنعلم فى الصفحات التالية.

---

(١) راجع العمدة لابن رشيق –، دار الجيل – بيروت ج١ ص٩٨ .

موقف القرآن من الشعر والشعراء :-

مما لا شك فيه أن مجئ الإسلام بدعوته الحنيفة قد أحدث زلزالاً مدوياً هزّ نفوس المشركين ، فالكلام جديد على مسامعهم ولم يعرفونه من قبل ، إلى جانب أنه أتى بنواهى كثيرة تنهاهم عما يرغبونه ويحبونه ، فما كان منهم إلا أن توجهوا إلى هذا الدين الجديد بأوصاف تعبّر عما أصابهم من درجة الذهول العالية ، فوصفوه بالسحر، ووصفوه بأضغاث الأحلام ، ووصفوه بالإفتراء ، إلى نأتى إلى وصفه بأنه شعر ومن أتى به شاعر ، وهنا يتضح لنا الأمر حيث منع الله نبيه من قول الشعر بنفسه ، وردّ الله تبارك وتعالى على المشركين مدافعاً عن نبيه بقوله جل شأنه ﴿وماهو بقول شاعر قليلاً ما يؤمنون﴾" [١] ويقول عزّ من قائل ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾"[٢] من هنا يتضح لنا أن الشعر ليس طريق النبىﷺ،ولا تقتضيه فطرته ولا ينبغى له قولهﷺ.

هذا وعن الأسباب القوية التى أراها وأميل إلى رأى من قال بها لإزالة التعجب من عقل وفهم من يستغرب منع النبى ﷺ من قول الشعر ، هو أن العرب فى الجاهلية كانوا يربطون بين الشيطان والشعر ، يقول السيوطى : " لا ننسى أن الربط بين الشيطنة والشعر وبين الإلهام والشياطين مفهوم جاهلى "[٣] فمعنى ذلك إن وافقنا على هذا المفهوم الجاهلى وهو من المفاهيم الجاهلية الكثيرة التى رفضها الإسلام وقضى عليها ، ولو وافقنا على قرن الشعر بالشيطنة لاتهمنا النبى ﷺ دون أن نشعر بهذاالوصف السئ ، حاشا وكلا يا سيدى يا رسول الله ، ذلك لأنهم كان يربطون بين الشاعر والشيطان ، لا الشعر والشيطان ، فهم يعتقدون أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه ويمده بالغيب. وكان الشيطان عندهم يتمثل فى ذكر وأنثى يتضح ذلك فى قول أبى النجم :

---

(١) سورة الحاقة الآية رقم ٤١
(٢) سورة يـــس الآية رقم ٦٩ .
(٣) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، عبدالرحمن جلال السيوطى – ط الباب الحلبى– دار إحياء الكتب العربية – ج٢ ص٤٧٠ .

"إنى وكل شاعرٍ من البشر ∴ شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

فما رآنى شاعرٌ إلا أستتر ∴ مثل نجوم الليل عاينت القمر "[١]

ما يدعونا إلى رفض وصفهم للنبى ﷺ بقوله للشعر ، أو بأنه شاعر .

أقوال المفسرين فى آية الشعراء :

لقد تناول المفسرون آية الشعراء كلٌ حسب وجهة نظره ، إلا أنهم اتفقوا فى الغالب الأعم فى نظرتهم تجاه هؤلاء الشعراء الغاوون الضالون الذين سخروا أنفسهم فى هجاء النبى ﷺ ، واتبعوا هواهم وأتفسهم الضالة المضلة .

ففى تفسير القرآن العظيم يقول الله تعالى :﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ " قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: يعنى الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن .. وقال عكرمة : كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس ، ولهذا فئام من الناس فأنزل الله تعالى﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ ...أما قوله تعالى ﴿ ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : فى كل لغو يخوضون . وقال الضحاك عن ابن عباس : فى كل فن من الكلام ، وكذلك قال مجاهد وغيره . وقال الحسن البصرى : قد والله رأينا أوديتهم التى يهيمون فيها مرة فى شتمة فلان ، ومرة فى مدحة فلان . وقال قتادة : الشاعر يمدح قوماً بباطل ويذم قوماً بباطل . وقوله تعالى :﴿ وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال العوفى عن ابن عباس : كان رجلان على عهد رسول الله أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وأنهما تهاجيا ، فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء فقال الله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لايفعلون﴾ . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنه هو الواقع فى نفس الأمر .

فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم ، فيتكثرون بما ليس لهم"[١] .

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ – تحقيق/عبد السلام هارون – ط دار الجيل – بيروت ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م ، ج٦ ص ٢٢٩.

وقوله تعالى"﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ، قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبدالله بن قسيط ، عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى قال : لما نزلت ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ جاء حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون ، فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنّا شعراء ، فقال النبى : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال : "أنتم" :﴿وذكروا الله كثيرا﴾ قال : "أنتم" ﴿ وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ قال : "أنتم" رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من رواية ابن اسحاق"[٢] .

وربما يُثار سؤال وهو يطرح نفسه بالفعل وهو إن سورة الشعراء مكية ، مع أن آية الشعراء مدنية فهل المقصود بذلك شعراء الأنصار فقط ؟

وللإجابة على ذلك نقول إن هذه الآيات و إن كانت تقصد شعراء الكفار الذين يتبجحون فى أشعارهم ، وناصبوا الإسلام العداء ، إلا أنها فى نفس الوقت مقصدها يتجه إلى كل الشعراء الذين لايسيرون على نهج الإسلام وتعاليمه ، فالآية شمولية حتى أننا نستطيع أن نقول أنها تشمل أيضاً شعراء المسلمين الذين لا يلتزمون بمنهج الإسلام ، ويضيعون أوقاتهم فيما لايفيد الأمة. ولذلك لما أنزل الله تعالى قوله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ " قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد : إن هذا استثناء مما تقدم ، ولاشك أنه استثناء ، ولكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار؟ وفى ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ، ثم تاب و أناب ورجع وأقلع

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق / هانى الحاج– المكتبة التوفيقية – المجلد الثالث جـ٦ص٦٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم – للإمام الحافظ عماد الدين ابى العذاء اسماعيل بن الكثير الدمشقى – تحقيق هانى الحاج – المكتبة التوفيقية – المجلد الثالث – ج٦ ص ٦٨ .

وعمل صالحاً ، وذكر الله كثيراً فى مقابلة ما تقدم من الكلام السئ . فإن الحسنات يذهبن السيئات .. كما قال عبدالله بن الزبعرى حين أسلم :

يارسول المـــلـــــيك إن لســـانى ∴ راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أُجارى الشيطان فى سنن الغـــ ∴ ى ومن مال ميله مثبورا "[١]

ويرى السيوطى " فى تفسير ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ فى شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون ، ﴿ ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ﴾ ألم تعلم أنهم فى كل وادٍ من أودية الكلام وفتونه يمضون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء "وأنهم يقولون" فعلنا "مالا يفعلون" يكذبون ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ من الشعراء ﴿ وذكروا الله كثيرا ﴾ أى لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وانتصروا﴾ بهجوهم الكفار﴿ من بعد ما ظلموا﴾ بهجوهم الكفار لهم فى جملة المؤمنين فليسوا مذمومين"[٢] .

أما فى البحر المحيط فيقول: " كان مشركو قريش يقولون : إن لمحمد تابعاً من الجن يخبره كما يخبر الكهنة ... وقال فى قول الله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون﴾. قيل : هى فى أمية بن أبى الصلت ، وأبى عزة ، ومسافع الجمحى ، وهبيرة بن أبى وهب ، وأبى سفيان بن الحرث ، وابن الزبعرى . وقد أسلم ابن الزبعرى وأبو سفيان ، والشعراء عام يدخل فيه كل شاعر ، والمذموم من يهجو ويمدح شهوة محرمة ، ويقذف المحصنات ، ويقول الزور وما لا يسوغ شرعاً .. أما (الغاوون) قال ابن عباس : الرواة ، وقال أيضاً المستحسنون لأشعارهم ، المصاحبون لهم . وقال عكرمة : الرعاع الذين يتبعون الشاعر . وقال مجاهد ، وقتادة : الشياطين . وقال عطية : السفهاء المشركون يتبعون شعراءهم . ﴿ ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ﴾ تمثيل لذهابهم فى كل شعب من

---

(١) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – المجلد الثالث – ج٦ ص٦٩ .

(٢) تفسير الجلالين – جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى – دار الحديث – القاهرة – ط أولى – ج١ ص٤٩٣ .

القول ، واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ، ومجاوزة حد القصد فيه ، حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة ، وأشجعهم على حاتم ، ويبهتوا البرئ ، ويفسقوا التقى .وقال ابن عباس : هو تقبيحهم الحسن ، وتحسينهم القبيح ﴿ وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ وذلك لغلوهم فى أفانين الكلام ، ولهجهم بالفصاحة والمعانى اللطيفة ، قد ينسبون لأنفسهم ما لا يقع منهم .... ﴿وأنهم يقولون ما لايفعلون﴾ أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التى تخالف حالا النبوة ، إذا أمرهم ، كما ذكر ، من اتباع الغواة لهم، وسلوكهم أفانين الكلام من مدح الشئ وذمه ، ونسبة ما لايقع منهم إليهم ، وذلك بخلاف حال النبوة ، فإنها طريقة واحدة ، لا يتبعها إلا الراشدون . ودعوة الأنبياء واحدة ، وهى الدعاء إلى توحيد الله وعبادته ، والترغيب فى الآخرة والصدق "[١]

أما الطبرى فيرى فى تفسيره آية الشعراء " والشعراء يتبعهم أهل الغىّ لا أهل الرشاد والهدى . واختلف أهل التأويل فى الذين وصفوا بالغىّ فى هذا الموضع فقال بعضهم : رواة الشعر ... وقال آخرون : هم الشياطين... أو يتبعهم الشياطين وقيل : عصاة الجن . وقال آخرون : هم السفهاء ، وقالوا : نزل ذلك فى رجلين تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين ، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء... وقال أيضاً فى قوله تعالى﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والأنس . حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قال : الغاوون المشركون .قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه : إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، وذلك أن الله عم بقوله : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض ،

---

(١) تفسير البحر المحيط – تأليف محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى،تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م، ط١،ج٧، ص٤٣،٤٥،٤٦ .

فذلك على جميع أصناف الغواة التى دخلت فى عموم الآية . قوله ﴿ ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون﴾ يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أنهم، - يعنى الشعراء – فى كل وادٍ يذهبون ، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائراً على الحق، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل . وإنما هذا مثل ضربه الله لهم فى افتتناهم فى الوجوه التى يفتنون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور ....أما قوله تعالى ﴿ وأنهم يقولون ما لايفعلون﴾ يقول : وأن أكثر قيلهم باطل وكذب ويقول : أكثر قولهم يكذبون. وعنى بذلك شعراء المشركين ...أما قوله تعالى ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهذا استثناء من قوله ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ . وذكر أن هذا الاستثناء نزل فى شعراء رسول الله ﷺ ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ثم هو لكل من كان بالصفة التى وصف الله بها "[١] .

وفى تفسير النسفى يقول : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ " أى يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب ومدح من لا يستحق المدح ، ولا يستحسن ذلك منهم إلا الغاوون أى السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون . قال الزجاج : إذا مدح أو هجا شاعر بما لايكون وأحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون . ﴿ألم ترأنهم فى كل وادٍ يهيمون﴾ أى فى كل فن من الكذب يتحدثون أو فى كل لغو وباطل يخوضون ، والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأبخلهم على حاتم"[٢]

---

(١) تفسير الطبرى – جامع البيان فى تأويل القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى ، أبو جعفر الطبرى – تحقيق / أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م – ج١٩ ص ٤١٥ : ٤١٨ .

(٢) تفسير النسفى – أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى – تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار – دار النفائس – بيروت – ٢٠٠٥م – ج٣ ص١٦٢.

بعد هذا العرض نودّ أن نشيرإلى أن اطلاعنا على أغلب تفاسير القرآن الكريم التى تناولت هذه الآيات ، فيها كثير من الاتفاق فى التفسير ، والتقارب الشديد بين المعانى . مما جعلنى اكتفى بذلك القدر من العرض الذى سبق أن عرضته لبعض المفسرين .

ومن خلال الاطلاع أيضاً وضح لى أن الناظر إلى النص القرآنى لآية الشعراء ، يتضح له تمام الايضاح بأنها موجهة إلى جماعة معينة من الناس ، وهى تلك الجماعة التى وهبت حياتها للهوى والمزاج والعداوة والبغضاء والكراهة المطلقة لدين الله ، ولنبيه ﷺ ، لقد تفننوا فى تعبيراتهم وادعاءاتهم الكاذبة لتضليل الناس و وقوعهم فى شباك أهوائهم الضالة ، فلم يحكّمَوا عقولهم و لو للحظة واحدة قد تمكنّهم من العودة إلى طريق الصواب ، ولكن هيهات لمن دبّ الحقد والكره فى نفسه وقلبه ، وفى المقابل لقد أثنت آية الشعراء على الشعراء الملتزمين بتعاليم وقيم الإسلام أياً كان هؤلاء الشعراء من الناحية المذهبية ، بدلالة أن السيدة عائشة تمثلت أمام النبى ﷺ بشعر "زهير بن جناب" وهو على غير دين الإسلام . مما يدل على أن الإسلام ينظر إلى الكلمة وقيمتها وأثرها فى النفوس لا إلى الأشخاص ودياناتهم ومذاهبهم . وهى دعوة مبكرة لعدم صدام الحضارات. كما أن هناك قضية يتناولها كثير من المشككين فى القرآن ، ألا وهى إدعائهم بأن هناك آيات من القرآن الكريم لو قيست على الأبحر الشعرية لرأيناها تخضع لها خضوعاً تاماً ، ومثلوا لذلك بالكثير من الآيات مثل ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب﴾[١] ، ﴿والعاديات ضبحاً * فالموريات قدحاً ﴾[٢] ، وهذا صحيح إلا أنهم لم يفطنوا إلى أن هذه الآيات وإن جاءت متوافقة مع بعض التفعيلات الشعرية ، إلا أنها لم تخضع للوزن والقافية بقصد ، بل جاءت من باب الصدفة لا القصد الذى يتجه إليه الشعراء والأدباء وللخلاص من ذلك ، وللقضاء على الاضطراب النفسى نلجأ فى ذلك إلى أديبنا العظيم "الجاحظ" والذىيقول :" إعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مستفعلن – فاعلن– كثيراً ، وليس أحد فى الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً ، ولو أن رجلاً من الباعة صاح :

---

(١) سورة المسد الآية ١ .
(٢) سورة العاديات الآيتان ١ ، ٢ .

من يشترى باذنجان؟ لقد كان تكلّم بكلام فى وزن : مستفعلن – مفعولات ، فكيف يكون هذا شعراً ، وصاحبه لم يقصد إلى الشعر؟ .... ثم يقول: وسمعت غلاماً لصديق لى ، وكان قد سُقى بطنه (أى اجتمع فيه ماء أصفر) وهو يقول لغلمان مولاه : اذهبوا بى إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى . وهذا الكلام يخرج وزنه على : فاعلاتن مفاعلن مرتين ، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول شعراً أبداً ، ومثل هذا كثير "[١].

إذاً هذا الكلام الموزون والمقفى الذى يتهمون القرآن الكريم باحتوائه عليه ، وهو اتهام لا ننفى البتة وجوده فى بعض آيات القرآن الكريم ، إلا أننا نؤكد أن الكثير من أقوال أهل البلاغة والفصاحة من الأدباء والكتّاب تحتوى على الكلام الموزون المقفى ، بل نجده أحياناً عند العامة لكنه يأتى على غير قصد ، وكذلك ما ورد فى بعض آيات القرآن الكريم فإنه جاء عن غير قصد لأنه كلام الله تبارك وتعالى الذى يعلو فوق الفصاحة فلا يُحرم الإنسان فيه من أى شئ يحاول البحث عنه فيما يخص البلاغة والفصاحة ، وكذلك العروض ، إلا أن ذلك ليس معناه وجود الشعر فى القرآن الكريم ، خاصة أننا علمنا وسلمنا بأن الله تبارك وتعالى قد نفى وجود ذلك فى القرآن الكريم .

---

(١) البيان والتبيين – للجاحظ – تحقيق / المحامى فوزى عطوى – طبع دار صعب – بيروت – ط الأولى ١٩٦٨م ،ج١ ص ١٥٤

المبحث الثانى

موقف الإسلام من الشعر من خلال السنة النبوية الشريفة

نظرة الإسلام للأدب عامة:

أود أن أشير فى عجالة إلى نظرة الإسلام للأدب عامة . ذلك لأن كثيرا من الناس ينظرون إليه نظرة قاصرة تقلل من شأنه فيصورونه على أنه متعة يستمتع بها الناس فى أنديتهم وأسمارهم ، أوتعبير عن الأحزان ، والأفراح ، والأشواق حتى أننا نجد كثيرا من طلاب العلم فى المدارس ، أو الجامعات لا يلقون بالا أو أهمية لذلك الفن الرفيع.

يمكننا القول بوجود هذه النظرة قديما ، لكن لما جاء الإسلام " أحدث تغييرا خطيرا فى وظيفة الأدب ، وتبديلا كبيرا فى نظرة الناس إليه ، فهو لم يبقه- كما كان – متعة يستمتع بها الناس فى أنديتهم و أسمارهم ، ولا متنفساً ينفسون به عن أحزانهم وأشواقهم وإنما طفق يرقى بالأدب ويرقى حتى جعله ضرباً من ضروب الجهاد ، وألحقه بفريضة من أجل الفرائض "[١] . وذلك واضح جلى فى سنة النبى ﷺ فلقد روى عن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبى ﷺ : (إن الله تعالى قد أنزل فى الشعر ما أنزل) ، فقال النبى ﷺ " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل"[٢] من هنا يمكننا أن نقول كما " أن هناك جهادا بالنفس حين يجود بها المرء فى سبيل الله ... ، وجهادا بالمال حين يبذله المرء فى سبيل الله ... ، وهناك جهاد بالكلمة لا يقل شأناً عن الجهادين السابقين بل إن الجهاد بالكلمة أندر والحاجة إليه – بسبب ندرته

---

(١) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده – د/ رأفت الباشا ، دار الأدب الإسلامى – الطبعة الثالثة – ١٩٩٦م ، ص١٦ ، بتصرف.

(٢) مسند أحمد – مسند القبائل – حديث كعب بن مالك – طبعة مؤسسة قرطبة – القاهرة – ج٦ ص٣٨٧ – حديث رقم ٢٧٢١٨ .

أشد – ؛ ذلك لأن للناس جميعا نفوسا يمكن أن يجودوا بها إذا صحت عزائمهم ... وأن لدى كثير من الناس مالا يستطيعون أن يضحوا به إذا سخت نفوسهم . ولكن سلاح الأدب نادر ثمين لا تملكه إلا القلة القليلة فى أى مجتمع من المجتمعات ، ذلك لأن قوامه الموهبة ، والموهوبون قليل "[١] .

إن موقف النبى ﷺ فى سنته جاء معضداً ومجسداً لموقف القرآن الكريم ، فلقد أشار القرآن الكريم إلى أن النبى ﷺ ليس بشاعر ، ولا ينبغى له قول الشعر. ولربما يسأل سائل ولماذا حُرِّم قول الشعر على النبى ﷺ ؟ وللإجابة على ذلك نقول : إن النبى ﷺ قادرٌ على قول الشعر ، إلا أن واقع الشعر أنه ضرب من الملاهى ، ولذا أتى (السيوطى) لذلك بتعليلٍ دينى يقول فيه : " إن أهل العروض مجموعون أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع ، إلا أن صناعة الإيقاع تقسيم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة ، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع ضرب من الملاهى لم يصلح ذلك لرسول الله ﷺ وقد قال رسول اللهﷺ: (ما أنا من دَدٍ ولا ددٌ منى) "[٢] .

وهذا الرأى يضع العيب فى الشعر وهذا ما لا أميل إليه ، وإنما أميل إلى الآراء التى تقول بأن منع النبى ﷺ عن قول الشعر لم يكن لعيب فى الشعر ذاته طالما هو فى خدمة الكلمة الطيبة ، وطالما هو شعر الإيمان الصادق الذى وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإنما جاء المنع لدفع الظنون التى اعتقدها الكفار فى النبى ﷺ ، حيث أرادوا أن يجعلوا ما جاء به من قبيل الأشعار التى تمده بها الشياطين يقول صاحب العمدة : " ولو أن كون النبى ﷺ غير شاعر غضّ من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة ، وهذا أظهر من أن

---

(١) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده ، د/رأفت الباشا – المرجع السابق ، ص١٧ .

(٢) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها – عبدالرحمن جلال الدين السيوطى – تحقيق / فؤاد على منصور – ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٩٩٨م – النوع التاسع والأربعون – معرفة الشعر والشعراء ج٢ ص ٣٩٩ ، الددد : اللهو واللعب

يخفى على أحد" [١] وهناك من يريد أن يجلب صفة الشاعرية على رسول الله ﷺ مستدلاً فى ذلك بما حدث للنبى ﷺ عندما " عثر فدميت أصبعه فقال :

"هل أنت إلا إصبعٌ دميت ∴ وفى سبيل الله ما لقيت ؟ "[٢]

وما روى عنه يوم حنين ، لما فرّ عنه بعض أصحابه ولم يثبت معه إلا قليل فنادى :-

" أنا النبى لا كذب ∴ أنا ابن عبدالمطلب " [٣]

وجهة نظرى أن ذلك من الأقوال التى جرت على ألسنة الفصحاء والبلغاء ومما وافق أوزان الشعر دون قصد ، فإذا كان قد جرى على لسان العامة كما بيّنا فما بالك بفصحاء القوم وبلغائهم ، ومابالك بأفصح العرب قاطبة سيدنا محمد ﷺ . يقول ابن عبدربه : " هذا من المنثور الذى يوافق المنظوم وإن لم يتعمد به قائله المنظوم ومثل هذا من كلام الناس ، يأخذه الوزن – مثل قول عبد ملوك لمواليه : اذهبوا بى إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى . ومثله كثير مما ياخذه الوزن ولا يراد به " [٤] ، وفى ذلك نفى صفة الشعر عن رسول الله ﷺ ، وأنه لم يقل الشعر على سبيل القصد مطلقاً .ثم يتجه المشككون إلى جهة أخرى يتهمون فيها النبى ﷺ بأنه روى الشعر، وهم فى ذلك كعادتهم يأخذون جزءاً من الحقيقة ويتجهون به إلى الناس لتشكيكهم ، فنحن لا ننكر أن النبىﷺ قد روى أشطار أبيات من الشعر ، وهذا لا يُعدُّ شعراً لأنه لايتحقق منه معنى، ولا تتحصل منه فائدة كما أن ذلك لا يُعد عيباً لا يُلصق به ﷺ ، إذ أنه عندما أستدل بأشطار هذه

---

(١) العمدة لابن رشيق – تحقيق /محمد محى الدين عبدالحميد – دار الجيل، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م – ج١ ، ص٢١ .

(٢) سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام– تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث – ج ٢ ص ٨٨ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه –كتاب الجهاد والسير– باب من قال خذها وأنا ابن فلان ج ٣ ص١١٠٧– حديث رقم ٢٨٧٧ .

(٤) العقد الفريد – لابن عبدربه – ط دار إحياء التراث العربى – لبنان ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م – ط الثالثة– ج ٥ ص٢٤٨ .

الأبيات ، إنما أستدل لقيمتها وملائمتها للموقف الذى استخدمها فيه ، كما أنها وافقت ما جاء به الإسلام ، مع أن أغلب هذه الأشطار الشعرية جاهلية المنشأ إلا أن الإسلام كما هو معلوم لم يرفض العادات والتقاليد والأعمال الأدبية الجاهلية رفضاً قاطعاً إنما أخذ منها كل ما يصلح للحياة الإسلامية الجديدة .

ولقد اتفقت معظم الأخبار الواردة فى الكتب الدينية و الأدبية وغيرها ، على أن النبى ﷺ لم يرو بيتاً كاملاً من الشعر ، فمما روى عنه ﷺ " عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺيقول : (إن أصدق كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمة لبيد : ألا كلُّ شئٍ ما خلا الله باطلُ) ما زاد على ذلك" (١) ، إلا أن هناك رواية يتيمة فريدة لم يذكرها سوى ابن هشام فى سيرته تلك التى تحدث بها ﷺ أثناء خروجه إلى خيبر فى السنة السابعة من الهجرة يقول فيها :-

"والله لولا الله ما اهتدينا ∴ ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ∴ وثبت الأقدام إن لاقينا

إنا إذا قومٌ بغوا علينا ∴ وإن أرادوا فتنة أبينا " (٢)

وهذه المقطوعة من الأرجاز التى كان العرب قديماً يعرفونها ويستخدمونها فى حداء الإبل ، وعند التقوية على الأعمال القاسية ، ولم يكونوا يقصدون أن يخرجوا بها شعراً منمقاً مهذباً موزونً مقفى ، وهذا مالم يقصده النبى ﷺ من باب أولى ، وهو الذى حُرِّم عليه قول الشعر كما قلتا ، وما ينبغى له أبدا .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الشعر –ط دار الحديث – القاهرة ط الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م ج٨ ، ص١٥ ، حديث رقم ٦

(٢) سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث ج ٣ ص ٣٨٧ ، ٣٧٩ – والأبيات لعامر بن الأكوع .

إن ما نودُّ أن نصل به إلى المشككين ممن يريدون إلصاق صفة الشاعرية بالنبى ﷺ هو أنه عليه الصلاة والسلام فعل كل شئ يخص الشعر إلا قوله ، فشجع عليه ، وروى أشطار أبيات تستخدم فى الحكمة، واستمع إليه ، وأمر صحابته بهجاء من هجوه ، وتمثّل به كما سنرى ، إلا أنه لم يقله ، ولم يتصف به مع أنه القادرعلى الإجادة فيه ، وكان ذلك امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى ، ولنفى زعمهم بأن الذى جاء به إنما هو من قول الجن والشياطين والسحرة . فمما تمثّل به النبى ﷺ ما سُئلت عنه السيدة عائشة رضى الله عنها : " أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشئ من الشعر؟ قالت: لم يتمثل بشىء من الشعر إلا بيت طرفة أخى بنى قيس :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ∴ ويأتيك بالأخبار ما لم تزودى

وربما عكسه : ويأتيك من لم تزود بالأخبار" [١] .

وهناك مثال آخر قال ابن هشام : " وحدثنى أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ فقال له: (أنت القائل ؟)

فأصبح نهبى ونهبُ العبيـ ∴ يد بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع . فقال رسول الله ﷺ هما واحد فقال أبوبكر أشهد أنك كما قال الله ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾"[٢] وهناك أمثلة عديدة لتمثله بالشعر لسنا فى سبيل الحصر لها ، إلا أننا نؤكد على أنهﷺ حتى فى تمثله بالشعر لم يأت بالبيت كما قاله الشاعر ، وإنما لابد أن يُحدث فيه تغييراً من مثل أن يبدأ بالشطر

---

(١) تفسير البحر المديد – لابن عجيبة – ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م ج ٦ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث ج ٤ ص ١٤٢ .

الثانى ، أو يحل بعض الجمل محل الأخرى ، وما ذلك إلا لأنه لا ينبغى له قول الشعر ، وما هو بشاعر.

ومن شدة حرصه ﷺ كان إذا أراد سماع بعض الأبيات من شاعرٍ ما ،إما أن يبدأ بأول كلمة ثم يترك الشاعر ليكمل بقية أبياته ، وإما أن يسأله عن طريقة قوله للشعر . " قال ابن سعد حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا عمر بن زائدة عن مدرك بن عمارة قال قال عبدالله بن رواحة مررت فى مسجد الرسول ورسول الله ﷺ جالس وعنده أُناس من الصحابة فى ناحية منه فلما رأونى قالوا عبدالله بن رواحة فقال أجلس هنا فقال كيف تقول الشعر قلت أنظر فى ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين ولم أكن هيأت شيئاً فنظرت ثم أنشدته:-

فثبت الله ما أتآك من حَسَنٍ ∴ تثبيت موسى ، ونصرا كالذى نصرا

قال فأقبل بوجهه مبتسماً ، وقال : (وإياك فثبت الله يا ابن رواحة) "[١]

وفعل ذلك ﷺ أيضاً مع كعب بن مالك عندما قال له " أترى الله نسى قولك ؟ يعنى:

زعمت سخينةُ أن ستغلب ربها ∴ وليُغلبنَّ مُغَالِبُ الغلاَّبِ" [٢]

ولقد ورد فى خبر سيدنا كعب عندما كان بين يدى رسول الله ﷺ " قال له النبى ﷺ (أنت الذى تقول ؟) ثم يلتفت إلى أبى بكر الصديق يسأله : (كيف قال يا أبا بكر؟) وينشده أبو بكر شعراً لكعب – قبل إسلامه – يخاطب فيه أخاه بجير ويؤنبه على إسلامه قائلاً:

ألا أبلغا عنى بجيــرا رسالة ∴ على أى شئٍ – ويب غيرك دلكّا

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة – شهاب الدين أبى الفضل العسقلانى المعروف بابن حجر –دار الكتب العلمية –بيروت ج٤ص٦٧ ، والعمدة لابن رشيق – دار الجيل ج١ص٢١٠ .

(٢) العمدة لابن رشيق– دار الجيل ج١ ص٧٧ ، طبقات فحول الشعراء – ط دار النهضة العربية – ص٥٤ .

على خُلُقٍ لم تُلف أماً ولا أبا ∴ عليه ولم تــدرك علــيه أخاً لكا

حتى إذا بلغ قوله:

سقاك أبو بكر بكأس روية ∴ وأنهــلك المأمون منهــا وعلكّا

قال رسول الله ﷺ (مأمون والله) "[١] .

وفى كل هذا دلالة واضحة على أنه إذا أراد أن يسمع بيتاً من الشعر فيه من الحكمة ، أو الحسنة والفضيلة التى يودُّ أن يردها إلى صاحب البيت مدحاً له على صنيع فعله فإنه يذكر كلمة أو جملة من البيت.

صفات الأدب الذى اهتم به الإسلام وحث عليه النبى ﷺ واستمع له :

إن الأدب الذى اعتنى به الإسلام ، ووضعه فى مقام عظيم له صفات تميزه عن غيره من الفنون ، وسمات خاصة به ، هو الأدب النظيف الذى يرقى بالأنسانية فشعر "حسان" الذى نصب له منبراً فى المسجد النبوى الشريف إنما قيل دفاعاً عن نبى الإسلام ، وزودا عن حوض الإيمان ، وردا لكيد أعداء الله ورسوله ، فالأدب الذى يهدى إلى الله عز وجل ، ويأمر بالخير ، وينهى عن المنكر ، ويحث على الفضائل ، ويتخلى عن الرذائل يدخل فى رحاب الإسلام من أوسع الأبواب ، ويستحق ثواب الله ومرضاة نبيه ﷺ .

فمما استمع إليه ﷺ ما روى عن أنس بن مالك قال : " جلس رسول الله ﷺ فى مجلس ليس فيه إلا خزرجى ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم – يعنى قوله – :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب ∴ لعمرة وحشاً غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسِراً ∴ كأن يدى بالسيف مِخراق لاعب

---

(١) الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق / سمير جابر – ط دار الفكر – بيروت– الطبعة الثانية– ج ص .

فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : (هل كان كما ذكر؟) فشهد له ثابت بن قيس بن شماس ، وقال : والذى بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عُرسه ، عليه غِلالة ومِلحفة مورّسة ، فجالدنا كما ذكر" (١) .

ومن أشعار الجاهلية أيضاً التى استنشد أصحابه لها ، مما يطيب له سماعه قول عنترة العبسى :

" ولقد أبيت على الطوى وأظله ∴ حتى أنال به كريم المأكل

فيعجبه هذا الجود والإيثار ،فيقول :(ماوُصف لى أعرابى قط فأجبت أن أراه إلا عنترة)"(٢).

لقد اهتم النبى ﷺ بالشعر أيم اهتمام فاستمع إليه ، وحث عليه ، وأقره وأمر به ، ولا يجب أن يؤخذ هذا الكلام على علاته بمعنى أننا نقرأ سنة خالدة دون أن نتعظ بها ، ونسير على نهجها . فمن الواجب علينا أن نقتدى بالنبى ﷺ ، وأن نرفع من شأن الأدب و الأدباء فما أحوجنا فى هذا العصر إلى العودة إلى الاهتمام بالأدباء وتقريبهم من أولى الأمر ، وإعلاء شانهم فى هذا العصر الذى أصبحت فيه الحروب ثقافية لا غير ، حاثين لهم على الدفاع عن قيم الأمة الإسلامية ومُثلها العليا ، متمثلين فى ذلك بسيدنا رسول الله ﷺ الذى لنا فيه الأسوة الحسنة فى اهتمامه بالأدب والأدباء ، وخاصة فى مجال الشعر ، وإليك الآن الكثير من الأحاديث النبوية التى تُثبت ما ذكرنا .

" فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل) ، فأرسل إلى ابن رواحة فقال : اهجهم ، فهجاهم فلم يرض . فأرسل إلى كعب بن مالك . ثم أرسل إلى حسان بن ثابت . فلما دخل عليه ، قال حسان : قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه . ثم قال : والذى بعثك بالحق ! لأفرينهم بلسانى فرى الأديم فقال رسول الله ﷺ : (لاتعجل فإن أبا

---

(١) الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق / سمير جابر – ط دار الفكر بيروت– الطبعة الثانية– ج ٣ ص ٩ ، رسول الله يستنشد شعر قيس .

(٢) الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق /سمير جابر – ط دار الفكر بيروت– ط الثانية– ج ٨ ص ٢٤٩ ، ذكر عنترة ونسبه .

بكر أعلم قريش بأنسابها . وإن لى فيهم نسبا . حتى يلخص لك نسبى) فأتاه حسان . ثم رجع فقال : يا رسول الله ! قد لخص لى نسبك . والذى بعثك بالحق ! لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان : (إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ) .

وقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْفَى) .

هجوت محمداً فأجبت عنـــه ∴ وعند الله فى ذاك الجزاء

هجوت محـــمداً بَـــرَّ تَـــقِيًّا ∴ رسول الله شيمـــته الوفاء

فإن أبى ووالده وعـــرضى ∴ لعرض محمـــدٍ منكم وقاء

ثكلت بُنَيَّتِى إن لـــم تروها ∴ تثير النقع من كنفى كداء

يـــباريـــن الأعنة مصعدات ∴ على أكتافها الأسل الظماء

تظـــل جـــيادنا متمطـــرات ∴ تلـــطمـــهن بالخمر النساء

فإن أعرضتموه عنا اعتمرنا ∴ وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لضراب يوم ∴ يُعز الله فيه مـــن يشاء" [١]

" فلا ريب فى أن ذلك وسام فخار يضعه الإسلام على صدر الأدباء عامة، والشعراء خاصة حين يبحث عنهم ولى أمر المسلمين ... وإنه مسئولية كبرى يلقيها الأسلام على عاتق الشعراء ، وإشارة واضحة لمهمة الأديب المسلم فى بناء المجتمع .كيف لا؟ وتجريد الأقلام فى هذا الدين كشفرات السيوف" [٢].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى – تحقيق عصام الصبابطى –حازم محمد وعماد عامر – المجلد الثامن – دار الحديث بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م – ص٢٨٦ .

(٢) راجع نحو مذهب إسلامى جديد فى الأدب والنقد – د/عبدالرحمن رأفت الباشا– دار الأدب الإسلامى – ط ثالثة – ١٤١٧هـ ،١٩٩٦م ، ص١٨ .

"وقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً فى المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ، ويقول رسول الله ﷺ : (اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك) "[١]

"فمجلس الأدب – كما رأيت – يعقد فى بيت من بيوت الله ، وشهود المجلس الصحابة الكرام وعلى رأسهم الرسول الأعظم ﷺ ... يبشر بما سيحف الشاعر من التأييد فيقول : (إن الله يؤيد حسان بروح القدس) "[٢] .

ومن المعلوم لدينا أن روح القدس إنما هو "جبريل عليه السلام" وهذا أحد أسمائه الذى "يشير إلى الطهارة والنزاهة من العيوب ، وهما الوصفان اللذان ينشدهما الشاعر المسلم أما التأييد الذى سيحف بحسان فإنما يكون بإلهامه طيب القول ، وإرشاده لما هو الصواب والحق " [٣] .

وروى فى البخارى "عن الهيثم بن سنان أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه وهو يقصص فى قصصه وهو يذكر رسول الله ﷺ يقول (إن أخاً لكم لايقول الرفث) يعنى عبدالله بن رواحة قال:-

وفينا رسول الله يتلو كتابـــــه ∴ إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ∴ بـــه مـــــوقــنــاتٌ أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه ∴ إذا استثقلت بالكافرين المضاجع"[٤]

"فأبو هريرة يقص يوم الجمعة فى المسجد ، والقص فى الاصطلاح إنما هو : الوعظ والإرشاد والتذكير ، ومن شأن الوعظ أن تكون فيه آيات من كتاب الله ، ومختارات

---

(١) سنن الترمذى- كتاب الأدب ، باب إنشاد الشعر ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، جـــ٥ص١٣٨ ، حديث رقم ٢٨٤٦،

(٢) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده – د/رأفت الباشا – المرجع السابق – ص١٥:١٦ .

(٣) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده – د/رأفت الباشا – المرجع السابق – ص١٦ .

(٤)أخرجه البخارى فى صحيحه – كتاب باب التهجد فصل من تعار من الليل فصلى، ط دار ابن كثير ، بيروت ، ط الثالثة ج ١ ص٣٨٧ حديث١١٠٤ .

من حديث رسول الله ﷺ ، ونبذ من روائع الأخبار ، وقد أضيف إليه عنصر الأدب ممثلاً فى الشعر ، وكان الذى جمع القرآن والحديث والشعر على مابين هذه الثلاثة من تفاوت كبير فى القيمة والرفعة أنها جميعاً إيمانية الغاية ، ربانية الاتجاه ، وفى هذا تكريم للأدب ما بعده تكريم ، فهو حين يكون شريف البواعث ، سامى الغايات يرتقى ويرتقى ، حتى يغدو مما يمكن أن يروى فى بيت الله جنباً إلى جنب مع كلام الله ، وحديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه "[١] .

وهنا لابد لنا من وقفة متأنية مع سؤال ملح على الذهن : كيف نعت "أبوهريرة" صاحبه "عبدالله بن رواحة" ؟ " نعته بأن قال عنه:(إنه كان لا يقول الرفث) والرفث هو الفاحش من القول فنظافة الأدب وبراءته من فاحش القول أمران لاغنى عنهما لأى أدب يرنو إلى الدخول فى رحاب الأدب الإسلامى ، أما الأدب الذى يصف العورات ، ويثير الشهوات ، ويستبيح الحرمات فهو أدب غير إسلامى كائناً من كان قائله"[٢] .

قال ابن إسحاق ، وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بنى الكفار عــن سبيلــه ∴ خلوا فكل الخير فى رسوله

يارب إنى مــؤمــنٌ بقــيــله ∴ أعــرف حــق الله فى قبوله

نحن قتلناكــم عــلى تــأويله ∴ كما قتلناكم عــلى تــنزيــله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله[٣] ∴ ويُذهل الخليل عــن خــليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله "[٤] .

---

(١) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده ، د/رأفت الباشا – المرجع السابق ، ص٢٠ .
(٢) راجع نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده – د/رأفت الباشا – ص٢٠ .
(٣) أى يسقط الرأس عن الجسد .
(٤) سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث ج ٣ ص ٤٢٥ .

فها هو ﷺ يستمع إلى الشعر ، وفى حرم الله ، ويرفض اعتراض سيدنا عمر رضى الله عنه على سيدنا عبدالله بن رواحة رضى الله عنه مما يؤكد حرصه ﷺ على هذا الفن الراقى والذى يلائم الفصاحة التى كان عليها العرب ، مما جعله يصفه عليه الصلاة والسلام (بأنه أشد عليهم من نضح النبل) ولقد رأيناه ﷺ يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فلقد استمع ﷺ إلى النساء وهن شقيقات الرجال ، وهذا أمر لا يجب أن يمرّ دون أن ننبه الكثير من المتشدقين ، والمتنطعين الذين يتشددون فى الدين ، ويسلطون سهامهم المسمومة تجاه المرأة ، مما دعى أعداء الأسلام إلى اتخاذ ذلك ذريعة متهمين ديننا الحنيف بعداوته للمرأة ، مع أن الواقع يخالف ذلك تماماً ، فالإسلام هو الذى أعطى للمرأة الحرية ، والكرامة ، والعفاف ، وصانها من كل ما يدنسها أو يشينها ، ثم نتوجه إليهم بكلمة واحدة فيها الفرق بين ما نعتقد وما يعتقدون من أفكار ، نقول لهم : فرق كبير بين الحرية والتحرر!

النبى ﷺ يستمع للنساء الشاعرات :-

من أوائل النساء اللاتى استمع لهن النبى ﷺ الشاعرة المشهورة (الخنساء) ، فقد روى " أنها قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بنى سليم فأسلمت معهم .

قال: فذكروا أن رسول الله ﷺ كان يستنشدها ، ويعجبه شعرها ، فكانت تنشده ، وهو يقول : (هيه يا خناس) ويمئ بيده الشريفة" [١] .

قال: " ومن قدر الشعر وموقعه فى النفع والضر ، أن ليلى بنت النضر بن الحارث بن كلدة لما عرضت للنبى ﷺ وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها، وقال رسول الله ﷺ: (لو كنت سمعت شعرها ما قتلته!) والشعر :

---

(١) نهاية الأرب فى فنون العرب –تأليف شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى – السفر الثامن عشر – دارالكتب– مطبعة دارالكتب – ط الأولى ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م ص٢٦

يا راكباً إن الأثيــل مــظــنةٌ ∴ من صبح خامسةٍ وأنت موفق

أبلغ بها ميتاً بــأن قــصيــدةً ∴ ما إن تزال بها الركائب تخفق

فليسمعن النفــر إن نــاديــته ∴ إن كان يسمع ميِّتٌ لا ينطــق

ظلت سيوف بنى أبيــه تنوشه ∴ لله أرحــام هناك تشقـــــق

قسراً يُقاد إلى المنــية مــتعباً ∴ رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمدٌ ها أنت ضَنِءُ بخــيبةٍ ∴ فى قومها والفحل فحلٌ مُعرِقٌ

ما كان ضرك لو مننت وربماٌ ∴ منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

فالنفر أقرب من تركت قرابةً ∴ وأحقهم إن كان عتقٌ يُعتق"[١]

أرأيت أعظم من هذا الموقف إن تمثلت صورته أمام عينيك ، فلا تنبئك إلا بعظمة هذا النبى الكريم ﷺ ، وبأثر هذا الشعر فى النفوس ، فيقول بعد سماعه الشعر وهو الذى لاينطق عن الهوى (لو كنت سمعت شعرها ما قتلته) ، وكان قد قتل يوم بدر .

ومما روى أيضاً " أن رجلاً يقال له الأعشى (واسمه عبدالله بن الأعور) كانت عنده امرأة منهم يقال لها معاذة فخرج يمتار لأهله من هجر فهربت امرأته من بعده ونشزت عليه فعاذت برجل منهم يقال له "مطرف بن نهضل" فأتاه فقال يا ابن عم عندك امرأتى فادفعها إلى فقال ليست عندى ولو كانت عندى ما دفعتها إليك وكان مطرف أعز منه فخرج حتى أتى النبى ﷺ فعاذ به وأنشأ يقول :-

يا ملك الناس وديــان الــعرب ∴ إليك أشكو ذربـــــة من الذرب

كالذئبة السغباء فى ظل السرب ∴ خرجت أبيغها الطعام فى رجب

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ – تحقيق عبدالسلام هارون – دار الجيل – بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر – ج٤ ص٤٣:٤٤ .

فـــنزعـــتنى بـــــنزاع وهرب ∴ اخلفت العهد ولطـــــت بالذنب

ووردتنى بين عصب ينتـــسب ∴ وهن شر غالب لمن غـــــلب

فقال النبى ﷺ (وهن شر غالب لمن غلب) فكتب ﷺ إلى مطرف بن نهضل انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه"[١] .

وهنا نجد أن الموقف قد تغيّر ، وبالتالى لابد للشعر أن يأخذ الطريق المناسب للموقف أو للحدث ،فالشعر الذى قالته بنت النضر والذى جعل النبى ﷺ يقول (لوسمعته قبل ما أقتله ما قتلته) ، متضمناً مدح بلاغة هذه المرأة ، إلا أنه هنا يذم الأخرى لتصرفاتها السيئة التى لا تناسب الإسلام ، بل تتنافى معه ومع قيمه ، وهو ما يجعلنا نكرر التأكيد بأن الإسلام يمدح كل كلمة طيبة ، ويذم كل ما هو خبيث .

ولقد سمع النبى ﷺ الشعر من بعض نسائه وهن يتمثلن به . " فمن جيد شعر زهير بن جناب :

ارفع ضعيفك لا يُحرْ بك ضُعفُه ∴ يوماً فتدركه عـــواقب ما جنى

يجزيك أو يثنى عليك وإنّ مـــَن ∴ أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

وسمع رسول الله ﷺ عائشة رضى الله عنها وهى تتمثل به فكان يقول لها كيف الشعر الذى كنت تتمثلين به فإذا أنشدته إياه قال يا عائشة : إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[٢].

فها هو ﷺ يطلب من زوجته أن تلقى على مسامعه الشعر الذى كانت تتمثل به لا لشئ إلا لجماله وقيمته وعظمته ، وفائدته العظمى التى يدعوا إليها ، وهى التواصل والرحمة والعطف بين الناس ، كما أنه يهدى إلى قيمة كبرى وهى الثناء إلى من أسدى

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة – شهاب الدين أبى فضل المعروف بابن حجر – ط دار الكتب العلمية – بيروت– ج٦ ص٢٣٧ .

(٢) الشعر والشعراء – لابن قتيبة – تحقيق مفيد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط الثانية– ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م – ج ١ ص٢٤١.

إليك معروفاً ، أو قدم إليك خدمة أو مساعدة ، مما جعل النبى ﷺ يقول للسيدة عائشة رضى الله عنها (لايشكر الله من لا يشكر الناس) .

كما أننا نتوصل إلى نتيجة أخرى وهى أن الإسلام لا يُحرم ذكر النساء فى الشعر ، وإنما يحرِّم التشبيب بهن ، والتغزل فيهن فى غير عفة ، وأن يذكر الشاعر زوجات الآخرين ، أو أخواتهم ، أو بناتهم ، فى ألفاظ لا تحمل أى قيمة أخلاقية ، إلا أن الإسلام يدعو إلى استخدام الألفاظ المعبرة العفيفة ، يدعو إلى صوان الأعراض ، وعدم الخوض فيها ، ويحمى المجتمع من التفكك والانحلال ، داعياً إياه إلى الاعتصام والفضيلة .

النبى ﷺ يسترُوح بالشعر:-

وهناك حقيقة أخرى هى أن المسلمين كانوا يأنسون بالأدب فى وقت الشدة ، ويستروحون به فى أوقات المحنة وذلك لتقوية القلوب ، وترقيق المشاعر " حدثنا عبيد الله بن إسرائيل عن أبى إسحاق قال: سأل رجلٌ البراء رضى الله عنه فقال : يا أبا عمارة أوّليتم يوم "حنين" ؟ قال البراء أما رسول الله ﷺ لم يول يومئذ كان أبو سفيان بن الحارث آخذاً بعنان بغلته فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول :

أنا النبى لا كذب ∴ أنا ابن عبدابمطلب .

فما رئى من الناس يومئذ أشد منه" (١).

فها هو ذا النبى ﷺ قد استخدم كلاماً وافق النظم الشعرى من حيث الشكل دون قصد وذلك فى وقت الشدة ، ليعبر من خلاله عن مدى الثبات ، والقوة الإيمانية النابعة عن إيمانه بالقضية التى يحارب من أجلها فما أعظمك يا سيدى يا رسول الله ، وفى موقف آخر نجد النبى ﷺ " يأنس بالشعر ، ويسأل الرواة عنه وينصت إليه ، ويستزيد منه

---

(١)أخرجه البخارى فى صحيحه –كتاب الجهاد والسير – باب من قال خذها وأنا ابن فلان– ج ٣ صـــ١١٠٧ – حديث ٢٨٧٧ .

، ولكن حذار أن تظن أن هذا الذى يرضى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو كل شعر ، وإنما هو شعر ذو صفات محددة "[١].

وكان النبى ﷺ فى الكثير من أسفاره يطلب من شعرائه أن يسمعوه بعض أشعارهم ليستروح بها فى قطع المسافات الطويلة التى كانت تقطع فى الجبال والوديان فقد " روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن الشريد عن أبيه قال : ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال:(معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ)؟

قلت : نعم . قال : (هيه) فأنشدته بيتاً فقال : (هيه) ، ثم أنشدته بيتاً فقال : (هيه) حتى أنشدته مائة بيت ، وفى رواية : "أنشدته مائة قافية" ، فجعل كلما مررت على بيت منها قال (هيه) . ثم قال عليه الصلاة والسلام : (استسلم شعره) "[٢] .

وفى رواية ثالثة : " إن الشريد بينما هو يمشى بين منى والشعب فى حجة الرسول ﷺ التى حج قال "أى الشريد" وإذا وقع ناقة خلفى فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فعرفنى فقال : (الشريد؟) ، قلت : نعم ... قال (ألا أحملك خلفى يا شريد؟) قلت : بلى يا رسول الله قال " أى الشريد" : مابى إعياء ولا لغوب[٣] ولكن التمس البركة فى مركبى مع رسول الله ﷺ فقال:(يا شريد هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ؟). قلت : أنا أروى الناس . قال: (هات) ... فأنشدته ، فإذا سكت رسول الله ﷺ سكتّ ، وإذا قال (إيه) أنشدته حتى إذا طال ذلك قال رسول الله ﷺ :(عند الله علم أمية بن أبى الصلت"[٤] .

---

(١) نحو مذهب إسلامى فى الشعر ونقده –د/رأفت الباشا– المرجع السابق ، ص٢٢ .

(٢) مختصر صحيح مسلم – تحقيق / محمد ناصر الدين الألبانى – كتاب الشعر وغيره – باب فى الشعر وإنشاده – المكتب الإسلامى – ط٥ – ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ص٣٩٧ .

(٣) لغوب أى تعب .

(٤) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير – باب الشين – الشريد بن سويد الثقفى – تحقيق / حمدى عبدالمجيد السلفى– طبعة مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، ط الثانية ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م ، ج ٧، صـ٣٢٠ حديث٧٢٥٩ .

ومن الأشعار التى استروح بها ﷺ وصحابته الأطهار فى المواقف الصعبة والعصيبة ، ليقووا على مواصلة الجهد ، ويتغلبون بها على التعب ، من ذلك ما روى " أن النبى ﷺ قال ليلة وهو فى سفر : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : (احْدُ) فجعل بنشد ويصغى إليه النبىﷺ ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده،فقال النبىﷺ (لهذا أشد عليهم من وقع النبل)"[1].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن النبى ﷺ كان يستروح بالشعر لتخفيف العناء والمشقة ، فى أغلب الأحوال ، مما يؤكد على مكانة هذا الفن الراقى كيف لا ؟ وهو الذى يمس المشاعر والأحاسيس ويرقى بالنفوس ويهذبها ، ويخفف من قسوتها وشدتها.

استعطاف النبى ﷺ بالشعر واستجابته لهم:-

كان الشعراء يلجأون إلى النبى ﷺ فى كثير من الأمور ، يستعطفونه ، أو يستنجدون به ، وكان ذلك عن طريق الشعر، وفى الغالب الأعم كان النبى ﷺ يستجيب لطالباتهم ، من ذلك ما روى من أن " عمرو بن سالم الخزاعى ... ركب إلى رسول الله ﷺ لما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير حتى قدم المدينة يخبره الخبر فأنشده :

اللهــم انى ناشـــد مــحمدا ∴ حلف أبــينا وأبيه الاتلدا

كنت لنـــا أبـــا وكــنا ولـــدا ∴ ثُمتَّ أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر رسول الله نصرا عتدا ∴ وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجـــردا ∴ إن سيم خسفا وجهه تربدا

فى فيلق كالبحر يجرى زبدا ∴ إن قريشاً أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكـــدا ∴ هــم بيتونا بالوتير هجدا

وقتلونا ركعاً وسجدا

---

(١) الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق / سمير جابر – ط دار الفكر – بيروت– الطبعة الثانية– ج ٤ ص ١٥٠.

وهى أطول من هذا فقال رسول الله ﷺ نُصرت يا عمرو بن سالم فذكر القصة فى فتح مكة" [١]

فهاهو النبى ﷺ يدعو لصاحب هذه الأبيات بالنصر ، تحية وتقديراً لكل كلمة تحمل معنى ذا قيمة يعبّر عما فى ضمائر الناس من صفاء ونقاء.

ولمكانة الشعر عند النبى ﷺ وأثره فى نفسه ، نجده فى موقف آخر يُهدى هدية إلى من جاء معتذراً بعد إسلامه ، وكان قد هرب عندما فتح النبى ﷺ مكة ، ألا وهو "عبدالله بن الزبعرى" "لما فتح رسول الله ﷺ مكة هرب هبيرة بن أبى وهب وعبدالله بن الزبعرى إلى نجران فحدثنى سعيد بن عبدالرحمن بن حسان قال ربى حسان بأبيات منها :

لا تعد من رجلا أحلك بغضة ∴ نجران فى عيش أجد لئيم

فبلغ ذلك عبدالله فقدم فأسلم ومن شعره لما أسلم :

إنى لمعتذر إليك مـــن التى ∴ اسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تأمرنى بأغوى خطـــة ∴ منهم وتأمـــرنى بـــها مخزوم

وأمد أسباب الهوى ويقودنى ∴ قلبى ومخطئ هذه مـــحـــروم

قال المرزبانى يكنى أبا سعد كان شاعر قريش ثم أسلم ومدح النبى ﷺ فأمر له بحلة"[٢] .

" وقيل : إعطاء رسول الله ﷺ سيرين أخت مارية لحسان بن ثابت يُروى من وجوه أكثرها أن ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له ؛ بل لذبه بلسانه عن رسول الله ﷺ ، قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته وإلى نحره .. وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه : لو وضعته على صخر لفلقه ، أو شعر لحلقه " [٣] .

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة- شهاب الدين أبى الفضل المعروف بابن حجر – دار الكتب العلمية – بيرووت – لبنان – ج٤ ص٢٩٧،٢٩٨ .

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة – مرجع سابق – ج ٤ ص٦٨ .

(٣) السيرة الحلبية فى سيرة الأمين والمأمون – على بن برهان الدين الحلبى – نشر دار المعرفة – بيروت ١٤٠٠ هـ ، ج ٢ ص ٦٢٣ .

فهاهو ﷺ يُسدى ويُعطى ويُهدى من أجاد فى حديثه ، وأقبل بعد إدبار فرحاً به ، وتشجيعاً له على حُسن صنيعه ، فكان أمره ﷺ بإهدائه "حلة" ، وما أدراك ما هدية رسول الله ﷺ .وفى موقف آخر:- " قال ابن الكلبى حدثنا عمران بن هزان الرهاوى عن أبيه قال وفد على رسول الله ﷺ رجل يقال له عمرو بن سبيع الرهاوى مسلماً فأنشده أبياتاً منها:-

إليك رسول الله أعملت نصها ∴ تجوب الفيافى سملقاً بعد سملق

فعقد له رسول الله ﷺ لواء فشهد به صفين مع معاويه"[١] .

أى تشجيع أعظم من هذا الذى يفعله النبى ﷺ مع من يستعطفونه ، ويرجونه ، ويعودون إلى صوابهم بعد غفلة منهم ؟ سؤال نتوجه به إلى من يُنكرون اهتمام النبى ﷺ بالشعر والشعراء .

ولا نريد أن نطيل فى هذا الموقف ، إلا أنه لا يمكن أن يمر دون أن نشير إلى قصة إسلام سيدنا كعب ، وقصيدته المشهورة التى توسل بها إلى النبى ﷺ وفيها أنه " أتى إلى رسول الله ﷺ متنكراً ، فلما صلى النبى ﷺ صلاة الفجر وضع كعب يده فى يد رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد أتى مستأمناً تائباً ، أفتؤمنه فآتيك به ؟ قال: هو آمن ، فحسر كعب عن وجهه وقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله هذا مكان العائذ بك ، أنا كعب بن زهير ، فأمنَّه رسول الله ﷺ ، وأنشد كعب قصيدته التى أولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ∴ متيمٌ إثرها لم يُفد مكبول

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله :

أنبئت أن رسول الله أوعدنى ∴ والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة ∴ الــقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة فلم ∴ أذنب ، ولو كثرت فىَّ الأقاويل

فلم يُنكر عليه النبى ﷺ قوله ، وما كان ليوعده على باطل ، بل تجاوز عنه ووهب له بردته"[٢]

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة – مرجع سابق – ج ٤ ص ص٢٩٨ .
(٢) العمدة لابن رشيق – تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد – دار الجيل – بيروت – ط٥ – ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ج ١ ص٢٣:٢٤ .

فيالك من عظمة أيها الشعر، يا من تتنزل على المشاعر والأحاسيس برداً وسلاماً ، فمن مهدور دمه إلى مستأمن على حياته ، بل ورائداً من رواد الشعر الإسلامى ، ويالك من نبى عظيم ، وصفك ربك بأنك على خلق عظيم ، من هذا الخُلق أنك تقدر الكلمة وتعتنى بها ، وتحث على رقيّها ومكانتها من الإسلام وقيمه . وعندما نرجع إلى "ابن سلام" فى طبقاته نجده يزيد على ذلك فيقول : – لما أمنَّه رسول الله ، فأنشد مدحته التى يقول فيها :–

" بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ∴ متيمٌ إثرها لم يُفد مكبول

فلما انتهى عند قوله:

إن الرسول لنور يستضاء بـــه ∴ مـــهندٌ من سيوف الله مسلول

فى فتية من قريش قال قـــائلهم ∴ ببطن مكة ، لما أسلموا زولوا

زالوا ،فمازال الكأس ولا كُشفٌ ∴ يوم اللقاء ، ولا سود معازيل

لا يقع الطعن إلا فى نحـــورهم ∴ وما بهم حياص الموت تهليل

فنظر النبى ﷺ إلى من عنده من قريش ، أى : اسمعوا ! "[١]

بالنظر فى هذه القصة نجد أن جزاء الكلمة الطيبة عند النبى ﷺ ، العفو بعد إهدار الدم ، والاهراء والعطاء ولا يكون ذلك إلا بين الأصحاب والأحباب ، ثم التنبيه على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، أن يسمعوا لما يقوله سيدنا كعب من كلام تطمئن إليه النفوس ، وترضى عنه القلوب المؤمنة . تباً لكل من حاول أن ينفى عنك البيان والفصاحة يا سيدى يا رسول الله من خلال طعنهم بأنك رافض للشعر ، وناهياً عنه ، فلقد سقنا هذه الأمثلة وهى ليست على سبيل الحصر ، لأن المثبوت فى الكتب غيرها كثير وكثير ، إلا أننا اكتفينا بهذه النماذج لندلل على كذب قول المضللين ، ولنثبت عكس ذلك ما يقولون تماماً ، رادين إليهم كيدهم إلى نحورهم .

---

(١) طبقات فحول الشعراء –محمد بن سلام الجمحى – تحقيق / محمود محمد شاكر– نشر دار المدنى بجدة – ج ١ ص١٠٠:١٠٢

المبحث الثالث

الشعر قناة إعلامية هامة لتوصيل الرسالة

يُعد الشعر فى هذا العصر – عصر صدر الإسلام – هو القناة التلفزيونية المتحركة التى تدافع عن الإسلام ونبيه ﷺ ، ذلك لأن المشركين استغلوا هذا الفن ، وجودتهم له فى الهجوم على النبى ﷺ وهجائه ، وذم ما جاء به من عقيدة ، فكان من الضرورى أن يحدث رد الفعل العكسى من أصحاب النبى ﷺ ممن يجيدون هذا الفن الذى كان أشد من السلاح وقعاً فى نفوس العرب . أعد النبى ﷺ العدة بأن جهّز أسلحته اللسانية ، فاستنفر شعراء المسلمين للرد على المشركين ، ونخص بالذكر منهم ، "عبدالله بن رواحة ، كعب بن مالك ، حسان بن ثابت " ، ولعلم النبى ﷺ بقدرة كل واحد من هؤلاء لذا أعطى لكل منهم دوره الذى يناسبه .

فلقد روى " يزيد بن عياص بن جُعدبة أن النبى ﷺ لما قدم المدينة ، تناولته قريش بالهجاء ، فقال لعبدالله بن رواحة : ردّ عنى . فذهب فى قديمهم وأولهم ، فلم يصنع فى الهجاء شيئاً . فأمر كعب بن مالك ، فذكر الحرب ، كقوله :

نصل السيوف إذا قصرنا بخطونا ∴ قُدُماً ، ونُلحقها إذا لم تَلحق

فلم يصنع فى الهجاء شيئاً . فدعا حسان بن ثابت فقال : اهجهم ، وائت أبا بكر يخبرك – أى بمعايب القوم . وكان أبو بكر علامة قريش " [1] .

فوضح مما سبق أن ابن رواحة رضى الله عنه رجل صاحب أخلاق أو بمعنى آخر لا يُحسن الهجاء ، ووضح أن سيدنا كعب إنما هو شاعر الحرب ، لكن سيدنا حسان فهو صاحب المهمة الكلامية الذى يستطيع أن يصمد فى مواجهة العرب ، فلديه من القدرات ما يمكنه من ذلك ، كما أن لديه قدرة التعامل مع الأمور حسب الموقف ، فقد يتطلب الموقف الشعر ارتجالاً ، وقد يتطلب الموقف أن يذم الكفار ومنهم من يلتقى مع النبى ﷺ فى النسب فلابد من أن يتعلم ذلك ، لذا ذهب إلى نسابة العرب أبى بكر رضى الله عنه .

---

(١) طبقات فحول الشعراء– ط دار المدنى– ج ١ ص٢١٦:٢١٧ .

ورأينا النبى ﷺ بعد أن استمع لكل واحد منهم يختار سيدنا حسان لهذه المعركة ثم يأمره ويدعو له بقوله : " اهجهم – يعنى قريشا – فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام ، فى غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات "(١).

نعم إن الكلمة أشد وقعاً على النفوس من السهام المرسلة ، كما أن من ضمن الأغراض التى ذهب من أجلها سيدنا حسان إلى أبى بكر رضى الله عنه ليتعلم منه أنساب العرب وأحسابهم وأيامهم ، حتى يكون صادقاً فيما يرميهم به ، وكان المشركون يعلمون تلك الميزة والقدرة لدى سيدنا أبى بكر ، " روى عن عبد الرحمن بن أبى الزنان قال : لما أُنشدت قريش شعر حسان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عن ابن قحافة " (٢).

إن قدرة سيدنا حسان رضى الله عنه الكلامية جعلت النبى ﷺ ذاته يهتم بأمر تخليص نسبه ، لأنه ﷺ واحداً من قريش ، فلربما يسبه حسان دون أن يشعر لذا رأينا النبى ﷺ فى كل الروايات يسأله " كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ فقال : إنى أسلك منهم كما تُسلّ الشعرة من العجين" (٣).

وبدأ سيدنا "حسان" وهو كما قلنا السيارة الإعلامية التى حملت لواء الإسلام على عاتقيها ، فصب حمم براكينه على هؤلاء الهجائيين بما يناسبهم من قول " فأخرج لسانه حتى ضرب به على صدره وقال : والله يا رسول الله ، ما أحب أنى لى به مقولاً فى العرب . فصُبَّ على قريش من شآبيب شرٍ"(٤)

مما جعل النبى ﷺ يقول له : " لهذا أشد عليهم من وقع النبل"(٥) .

---

(١) العمدة لابن رشيق – دار الجيل – ج ١ ص٣١ .
(٢) الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق / سمير جابر – ط دار الفكر بيروت– الطبعة الثانية– ج ٤ ص ١٤٦ .
(٣) الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق / سمير جابر – ط دار الفكر بيروت– الطبعة الثانية– ج ٤ ص ١٤٤ .
(٤) طبقات فحول الشعراء – دار المدنى – ج١ صـــ٢١٧ .
(٥) العمدة لابن رشيق – تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد –ط حجازى – ١٣٥٣هـــ ، ١٩٣٤م – ج ١ ص١٤.

لا نُنكر أن هذه الأمور جعلت النبى ﷺ يستمع إلى أشعار شعرائه وخاصة سيدنا حسان رضى الله عنه ، حتى أنه صنع له منبراً فى المسجد ، ومن إعجابه ﷺ بشعرائه أنه قال فيهم :" هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل"(١) .

مما يؤكد أن شعراء النبى ﷺ وإن كان قد بلغ حسان رضى الله عنه المنزلة العليا فيما بينهم ، إلا أننا نؤكد على أن سيدنا كعب وسيدنا عبدالله بن رواحة لم يكونا أقل شأناً من حسان رضى الله عنه ، ولكن دور سيدنا حسان – الرد الكلامى – هو ما أعطاه هذه المنزلة ، لأن الوقت كان قد كثر فيه الأخذ والرد الكلامى بين المشركين والمسلمين ، مما جعل سيدنا حسان شاعر أمة لا شاعر قبيلة .

ولما اشتد الأمر بين المسلمين وأعدائهم لجأ رسول الله ﷺ إلى وسيلة أخرى أشد من وسيلة الشعر ، وذلك لما رأى البعض منهم يستمر فى إصراره على الإيذاء ، والعداوة ذات الحقد الدفين . فمما لجأ إليه ﷺ هدر دماء الهجائيين والأمر بقتلهم " فقد كان أوعد رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم – يعنى ابن خَطَلٍ وابن حُبابة ، وقد أمر النبى ﷺ بقتل الأول لارتداده مشركاً ، وأنه كان يأمر بقينتين له بأن تغنيا بهجاء النبى ﷺ ، وقد قتله أبو برزة الأسلمى ، وأما الثانى فقتله "نميلة بن عبدالله" – وهو رجل من قومه – يوم فتح مكة ، وذلك لقتله رجلاً من المسلمين ثم ارتد مشركاً ، فأهدر النبى ﷺ دمه " (٢) .

من هؤلاء أيضاً "أبو عزة الجمحى" هذا الرجل كان يهجو رسول الله ﷺ " ويحرض قريشاً على قتال النبى ﷺ ، فأسر يوم بدر ، وجئ به إلى النبى ﷺ ، فشكا إليه الفقر والعيال ، فرّق له وخلّى سبيله بعد أن عاهده ألا يعين عليه بشعر ، فأمسك عنه مدة ، ثم عاد إلى حاله الأولى ، فأسر يوم أحد ، فخاطب النبى ﷺ بمثل خطابه الأول ، فقال النبىﷺ

---

(١) العمدة – لابن رشيق – دار الجيل – ج ١ ص٣١ .
(٢) راجع العمدة – لابن رشيق – دار الجيل – ج ١ ص٢٣ .

: (لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين) ثم قتله صَبْراً ، وقال :(لا يلسع المؤمن من جحر مرتين) "[١] .

ومن هؤلاء أيضاً " كعب بن الأشرف وهو من طئ وأمه من بنى النضير .. بكى قتلى بدر ، وشبَّب بنساء النبى ﷺ ونساء المسلمين فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ورهطاً معه من الأنصار بقتله فقتلوه " [٢] .

وهناك أيضاً " هبيرة بن أبى وهب شاعراً من رجال قريش المعدودين وكان شديد العداوة لله ورسوله فأخمله الله ودحقه"[٣].

وهناك الكثير غير هؤلاء ، لمن أراد المزيد أن يُراجع كتب السيرة ، وبعض كتب الأدب من مثل (سيرة ابن هشام – العمدة لابن رشيق – الإصابة – طبقات فحول الشعراء) وغيرها ، ومن الشعراء من أهدر النبى ﷺ دمهم ولكنه لم يتمكن منهم، إما لهروبهم ، أو لعودتهم إلى رشدهم وتوبتهم ، ففى رسالة "بجير" إلى أخيه كعب يدعوه إلى التوبة ويبيّن له أن الأمل مازال موجوداً ، فيبلغه عن أحوال من توعدهم النبى ﷺ " وقد كان أوعد رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم ... وإن من بقى من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة ابن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل من جاء تائباً "[٤] وفى رواية " ويلك إن النبى أوعدك ، وقد أوعد رجالاً بمكة فقتلهم ، وهو والله قاتلك أو تأتيه فتسلم" [٥] .

---

(١) العمدة لابن رشيق – دار الجيل – ج ١ص٦١ وراجع طبقات فحول الشعراء – دار النهضة العربية – صـــ٦٣:٦٤ .

(٢) طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحى – دار النهضة العربية – ص٧١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء – دار النهضة العربية – ص٦٥ .

(٤) العمدة – دار الجيل–ج١ ص٢٣، راجع طبقات الشعراء – ط المدنى ١٩٧٤م – ص٦٥ .

(٥) طبقات فحول الشعراء – لابن سلام – دار النهضة العربية – ص١٩ .

لذا لما استجاب سيدنا كعب للرسائل وذهب إلى النبىﷺ طالباً العفو منه ، مطلقاً لسانه بقصيدة شعرية جعلت النبى ﷺ يعطيه الأمان بل ويزيد على ذلك بأن أهداه بردته تكريماً له .

لقد كان من أثر هذه الحملة أن دخل بعض المهاجمين للإسلام فى الإسلام ، وتقدموا باعتذاراتهم للنبى ﷺ من هؤلاء "ابن الزبعرى" الذى اعتذر إلى النبىﷺ ومدحه فقال :

"يا رسول المـــليك إن لســـانى ∴ راتقٌ ما فتقت إذ أنا بور

إذ أُجارى الشيطان فى سنن الغـــ ∴ ىِّ ومن مال ميله مثبور

آمَنَ اللحم والعظـــام بما قـــلـــت ∴ فنفسى الفِدى وأنت النذير

إلى أن يقول:

منع الرقاد بلابل وهـــمـــــــوم ∴ والليل معتلج الرُّواق بهـيـــــم

مما أتانى أن أحمتـــــد لا مـــنى ∴ فِيه فـــبت كأننى محـــمـــــوم

يا خير من حملت على أوصالها ∴ عيرانة سرع اليدين رســــــوم

إنى لمعتذر إليك مـــــن الـــذى ∴ أسديت ، إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تأمرنى بأغـــوى خُطـــــةٍ ∴ سهمٌ ، وتأمـــرنى بـــها مخزوم

فاغفر – فِدىً لك والدى كلاهما ∴ ذنبى ، فإنك راحم مرحـــوم"[١]

ومن هؤلاء أيضاً "سارية بن زنيم" ، وكان قد بلغه أن النبى ﷺ توعده بعد أن سمع أنه هجاه ، فجاء معتذراً يقول :-

---

(١) طبقات فحول الشعراء – ط دار المدنى– ج ١ ص٢٤٢:٢٤٣ ، وجمهرة أشعار العرب – ط دار النهضة العربية ص٥٩ ، والإصابة ج٤ ص٦٨ .

"تعلم رسول الله إنك قـــادر ∴ على كل حى من تهام ومنجـــد

تعلم رسول الله أنك مدركى ∴ وأن وعيد أمنك كالاخذ باليـــد

تعلم بأن الركب إلا عويمرا ∴ هم الكاذبون المخلفو كل موعد

إلى أن قال:

فما حملت من ناقة فوق رحلها ∴ ابّر و أوفى ذمةً من محمد"(١)

أثر حملة شعراء النبى ﷺ الإعلامية :-

لقد كان لهذه الحملة أثرها العظيم ، وفائدتها الجليلة للإسلام ، ولقد حقق قائدها المحنك صاحب اللسان الذى يشبه نضح النبل على أجساد الكفار نجاحاً باهراً ، فأول فوائد هذه الحملة،أن بعض المشركين ارتدعوا عن هجائهم للنبى ﷺ ، وبعضهم جاء معتذراً واعتنق الإسلام،والبعض الآخر فرّ هارباً خوفاً من توعد النبى ﷺ له ، ولقد أصبح لسان حسان نقطة تحوّل للأشخاص بمجرد سماع هذا الصوت الذى يحمل قوة الردع الإيمانية ، من ذلك لما " وَفَد خزاعى ابن أسود فأسلم ووعد أن يأتى بقومه فأبطأ فأمر النبى ﷺ حسان ابن ثابت فقال فيه:

ألا أبلغ خـــزاعيـــا رسولا ∴ فإن الغدر يغسله الوفـــاء

فإنك خير عثمان بن عمرو ∴ وأسناها إذا ذكر السفـــاء

فبايعت النبى فكان خيـــراً ∴ إلى خـــير وادّاك الـــثراء

فما يعجزك أو ما لا تطقه ∴ من الأشياء لا تعجز عداء

فلما سمع ذلك أقبل إلى النبى ﷺ وهم معه فأسلموا"(٢)

---

(١) الإصابة – ط دار الكتب العلمية – بيروت – ج ٣ ص٥١ .

(٢) الإصابة – دار الكتب العلمية – بيروت – ج ٢ ص١١٠ .

ومن أثر الشعر على النفوس أيضاً أن أحدث سكناً للنفوس المتفاخرة ، التى تعطى لأصحابها علو شأن فوق كل البشر على غير حق ، فعلمها الشعر الإسلامى أن العزّ إنما هو عز الإسلام ، فلقد " أنشد النابغة الجعدى بين يدى رسول الله ﷺ قصيدة يقول فيها :-

علونا السماء عفةً وتكرما ∴ وإنا لنبغى فوق ذلك مظهراً

فغضب النبى ﷺ وقال : أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال : الجنة بك يا رسول الله ، فقال النبى ﷺ : أجل إن شاء الله ، فقضت له دعوة النبى ﷺ بالجنة ، وسبب ذلك شعره"(١) .

ومن فصاحة سيدنا حسان ، وقسوة لسانه التى نزلت على أجساد قريش وكأنها سياطاً تضرب أجسامهم ، تحديه لزعيمهم "أبى سفيان الحارث"، حين قال :-

"هجوت محمداً فأجبت عنه ∴ وعند الله فى ذاك الجزاء

فقال له : جزاك عند الله الجنة يا حسان ، فلما قال :

فإن أبى ووالده وعرضى ∴ لعرض محمد منكم وقاءُ

قال له : وقاك الله حرّالنار ، فقضى له بالجنة مرتين فى ساعة واحدة ، وسبب ذلك شعره"(٢) .

فكان ذلك جزاء لسيدنا حسان رضى الله عنه لرده على هؤلاء الحاقدين الكارهين لله ورسوله .

ولقد أتى وفدٌ من تميم إلى النبى ﷺ ، وفيه زعمائهم ، "الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر"، متحدين لخطيب رسول الله ﷺ وشاعره "حسان بن ثابت" . فقال الزبرقان مفتخراً بقومه :

---

(١) العمدة لابن رشيق – دار الجيل – ج ١ ص٥٣ .
(٢) العمدة لابن رشيق – دار الجيل – صـ٥٣ – جـ١

" نحن الكرام فلا حى يعــادلنا ∴ منا الــملوك وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهــم ∴ عنــد النهاب وفضل العز يتبع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ∴ من الشواء إذا لم يؤنس القزع

وظل الشاعر يفتخر ويفتخر ، وكان حسان غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ قال حسان: جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ∴ على أنف راض من معد وراعم

منعناه لما حــل بــين بيوتنا ∴ بأسيافنا مـــــن كل باغ وظالم

..... ∴ .....

هل المجد إلا السؤدد العود والندى ∴ وجاء الملوك واحتمال العظائم

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم فقال ما قال ، عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ما قال . فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال ، فقام حسان فقال :

إن الذوائب من فهر وإخــواتهم ∴ قد بينوا سنة للـــناس تتــبــع

يرض بهم كل من كانت سريرته ∴ تقوى الإله وكل الخير يصطنــع

قوم إذا حاربوا ضروا عــدوهم ∴ أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محـــدثة ∴ إن الخلائق فاعلم شرها البـــدع

إن كان فى الناس سباقون بعدهم ∴ فكل سبق لأدنى سبــقهم تبـــع

إلى أن وصل إلى قوله:

أكرم بقوم رسول الله شيعتهــم ∴ إذا تفاوتت الأهواء والشيـــع

أهدى لهم مدحتى قلب يــؤازره ∴ فيما أحب لسان حائك صنـــع

فأنهم أفضل الأحياء كلهـــــم ∴ إن جد بالناس جد القول أو شمعوا"[١]

فكان لهذه القصيدة أثرٌ نفسىٌ كبير على هذه القبيلة ، وعلى قائدها وزعيمها ، مما دعاه أن يعترف بالهزيمة " فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى ، إن هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم"[٢] .

وكان لشعر سيدنا حسان رضى الله عنه أثر نفسى عظيم عند سامعيه ، فصدّع نفوس المشركين ، حتى أنهم أصبحوا يستجيرون بالنبى ﷺ ، من لسان حسان اللاذع ، فمما قاله سيدنا حسان رضى الله عنه فى ابن أبى حارثة المرّىٍ وكان هذا الرجل من عشيرة قد غدرت برسول رسول الله ﷺ ، وكان الحارث قد توعّد بحمايته ، فلما رآه حسان قال :-

" وأمانة المرِّىٍ حيث لقيته ∴ مثل الزجاجة صدعُها لم يُخيَر

قال الحارث : يا محمد ، أجرنى من شعر حسان ، فوالله لو مُزج به ماء البحر مزجه"[٣]

إن المصادر والمراجع لمليئة بما يشهد لسيدنا حسان بأنه كان لسان الدعوة المؤثر من جميع النواحى ، إلا أن هذا لا يقلل من شأن الآخرين ، فلقد قام كلٌ منهم بدوره على حسب قدرته وإجادته فيما هو مطلوب منه ، فهاهو سيدنا كعب يؤثَّر فى قبيلة كاملة ، فتدخل الإسلام بسبب أشعاره . " روى أبو عمر بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال : بلغنى أن دوساً إنما أسلمت فَرَقا من قول كعب بن مالك الأنصارى الخزرجى :

قضينا من تهامة كلَّ وِترٍ ∴ وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

نخيرّها ولو نطقت لقالت ∴ قواطعهن : دوساً أو ثقيفا

فقال دوس : انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف "[٤]

---

(١) سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث ، ج ٤ ص ٤٠٢:٤٠٦ .

(٢) المرجع السابق ج ٤ ص٤٠٦ .

(٣) راجع طبقات فحول الشعراء – لابن سلام الجمحى – ط النهضة العربية – ص٥٣ .

(٤) نهاية الأرب فى فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى ، السفر الثامن ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، مطبعة دار الكتب – ط الأولى ١٣٧٤هـ –١٩٥٥م ، ص٢٧ .

المبحث الرابع

النبى ﷺ ناقداً

النبى ﷺ مولده فى العرب وبين ظهرانيهم ، ومع فصائحهم ، لذا عرف مكانة الأدب عندهم بجميع أشكاله وألوانه المختلفة . فلقد روى عنه ﷺ أنه قال : " لاتدع العربُ الشعر حتى تدع الإبل الحنين"(١) ويقول أيضاً ﷺ " إنما الشعر كلامٌ مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"(٢) ويذكر أيضاً ﷺ " إنما الشعر كلامٌ ، فمن الكلام خبيث وطيب " (٣).

وهذا يؤكد لنا نظرة النبى ﷺ ، فالشعر عنده مقبول طالما رسالته الدعوة إلى دين الله ، وكلمته هى الطيبة لا الخبيثة ، وغايته الحق لا الضلال فى كل أمور الحياة . ويريد النبى ﷺ أن يبيّن لنا رسالة الشعر فيقول :"(الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به فى بواديها ، وتسُلُّ به الضغائن من بينها)"(٤)فأعطى لنا وظيفة أخرى للشعر ، ألا وهى أنه يستل الضغائن من بين الناس ، إن كان يحمل فى طياته المعانى القيمة ، والقيم الباقية التى تدعو إلى كل خير ، وتدحض كل باطل . وتتضح معرفة النبى ﷺ بالشعر ، لكنه الشعر الذى يدور حديثنا عنه وهو شعر القيم الفاضلة حينما يقول : " إن من البيان سحراً ، وإن من الشعر لحكماً " وقيل لحكمة"(٥) .

فهو هنا يمدح الشعر الحسن الطيب ، لا الخبيث القبيح ، ثم يربط بين فصاحة القول وجماله ، ووضح أن الشعر يحتوى كذلك على الحكمة ، ولنعلم جيداً أن النبى ﷺ لم يترك الحبل على الغارب فى هذا الأمر ، بل وضع له مقاييس لتقويمه والحكم عليه ،

---

(١) العمدة– دار الجيل – ج ١ ص٣٠ .
(٢) العمدة– دار الجيل – ج ١ ص٢٧ .
(٣) العمدة– دار الجيل – ج ١ ص٢٧ .
(٤) العمدة لابن رشيق – ط دار الجيل – ج١ ص٢٨ .
(٥) العمدة– دار الجيل – ج ١ ص٢٧ .

فالشعر الذى يدعو إلى الخير والصلاح والفلاح هو الشعر الحسن ، أما ما خالف ذلك فهو القبيح المُنكر المكروه.

ومما يدل على معرفته بالشعر ، لدرجة تصل إلى حد النقد إعجابه بقول عنترة :

"ولقد أبيت على الطوى وأظله ∴ حتى أنال به كريم المأكل

قال ﷺ (ما وصف لى أعرابى قط فأحببت أن أراه إلا عنترة) "[١] ..

ومما يؤكد أن النبى ﷺ قد وضع مقياساً للشعر الإسلامى المقبول ، والذى يحمل كل خير لهذه الحياة ، عندما نراه وهو ينظر إلى الشاعر "أمرئ القيس" فعندما يتوجه بالنقد لشعره ، نراه ينظر إليه من اتجاهين مختلفين ، أولهما : من الناحية الفنية وهذا أمر لا يختلف عليه الكثيرون من أن أمرأ القيس رائداً من رواد الشعر فى هذه الناحية ، لكن عندما يوضع على مقياس الاتجاه الثانى وهو طريقة إستخدام هذا الفن ، فهل استخدم هذا الفن فى خدمة القيم الفاضلة؟ بالطبع لا . وإنما استخدمه من وجهة نظر الإسلام لينال به شهرة وموقعاً طيباً ، فيظل مذكوراً فى الدنيا إلا أنه خاسراً فى الآخرة ، لذا قال عنه رسول الله ﷺ "أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار،يعنى شعراء الجاهلية والمشركين"[٢].

وبالنظر فى شعر شاعرٍ آخر نجد النبى ﷺ يُعجب به ، لا لشئ إلا لتمثل القيم الإسلامية فيه.فهذا قول "ضرار بن الأزور" : –

"خَلَعْتُ القداح وعزف القيــا ∴ ن والخمر أشرابها والثِّمــالا

وكرّى المُحــبَّر فى غمــرةٍ ∴ وجهدى على المسلمين القتالا

وقالت جـــــميلةُ : شتتــنا ∴ وطرَّحت أهلك شتى شــمالاً

---

(١) الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق / سمير جابر – ط دار الفكر بيروت– الطبعة الثانية– ج ٨ ص ٢٥٠، ذكر عنترة ونسبه .

(٢) العمدة لابن رشيق – دار الجيل – ج١ ص٩٤ .

فياربّ ، لا أُغبنن صفقتى ∴ فقد بعتُ أهلى ومـــالى بدالا

فقال النبى ﷺ :(ربح البيع ، ماغُبنت صفقتك يا ضرار) "[١]

كما أنه ﷺ مدح سيدنا كعب فى شعره وأبدى إعجابه به " أترى الله نسى قولك؟ يعنى :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ∴ وليُغلبن مُغالبِ الغلاَّبِ"[٢]

" وسمع رسول اللهﷺ "عائشة" رضى الله عنها وهى تتمثل بأبيات "زهير بن جناب" ، فكان يقول لها : كيف الشعر الذى كنت تتمثلين به ؟ فإذا أنشدته إياه قال يا عائشة : (إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس) "[٣].

ونراه ﷺ وقد امتدح شاعراً لعفة لسانه وهو (عبدالله بن رواحة) فقال :

"إن أخاً لكم لا يقول الرفث"[٤] .

ومن نقده ﷺ ، لما بالغ "النابغة الجعدى" فى الفخر وبين يدى رسول الله ﷺ فى قوله :

"علونا السماء عفةً وتكرماً ∴ وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فغضب النبى ﷺ ، وقال : أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال : الجنة بك يا رسول الله ، فقال ﷺ : أجل إن شاء الله ، فقضت له دعوة النبى ﷺ بالجنة ، وسبب ذلك شعره"[٥] .

وكذلك عندما " أنشد سيدنا "حسان" مجاوباً عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله:

هجوت محمداً فأجبت عنه ∴ وعند الله فى ذلك الجزاء

فقال له : جزاؤك عند الله الجنة يا حسان، فلما قال :

---

(١) أُسد الغابة فى معرفة الصحابة– لابن الأثير–ط دار إحياء التراث العربى–بيروت ج٣ص٥٢

(٢) العمدة لابن رشيق– دار الجيل – ج ١ ص٧٧ .

(٣) الشعروالشعراء لابن قتيبة– ط دار الكتب العلمية– بيروت ، ج١ص٢٤١ – زهير بن جناب

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه – كتاب باب التهجد فصل من تعار من الليل فصلى، ط دار ابن كثير ، بيروت ، ط الثالثة ج ١ ص٣٨٧ حديث١١٠٤ .

(٥) العمدة– دار الجيل – ج ١ ص٥٣ .

فإن أبى ووالده وعــرض ∴ لعرض محمد منكم وفاء

قال له : وقاك الله حرّ النار ، فقضى له بالجنة مرتين فى ساعة واحدة ، وسبب ذلك شعره"[١]

ولقد طال نقده صلى الله عليه صحابته ، فلم يرضه من "عبدالله بن رواحة" أن ينتقص من قدر قريش ، سأله النبى ﷺ : " كيف تقول الشعر إذا قلتَ؟ قلت أنظر فى ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين قال ولم أكن أعددت شيئاً وأنشدته :

فخبرونى أثمان العباء منى ∴ كنتم بَطاريق أو دانت لكم مضر

قال : وكأنى عرفت فى وجه رسول الله ﷺ الكراهة أن جعلت قومه أثمان العباء فقلت :

نجالد الناس عن عِرضٍ فنأسرهم ∴ فينا النبى وفينا تنزلُ السورُ

فأقبل علىّ بوجهه متبسماً ثم قال وإياك فثبت الله "[٢]

وتمر المواقف بنا لنجد النبىﷺ ناقداً ماهراً حين ينوه ببعض الشعر ويفضل بعضه على بعض بناء على عناصر فنية توافرت فيه ، ومن أهم هذه العناصر عنصر الصدق " عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺيقول : (إن أصدق كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمة لبيد : ألا كلُّ شئٍ ما خلا الله باطلُ)ما زاد على ذلك"[٣].

كما روى "عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتى أعرابى إلى النبى ﷺ فتكلم بكلام بيِّن فقال رسول الله ﷺ (إن من البيان سحراً ، وإن من الشعر لحكماً) " وقيل لحكمة"[٤] .

وهكذا يتضح لنا من هذه الأمثلة القليلة من كثير أن النبى ﷺ يُعدُّ ناقداً ماهراً ، ومقوماً وموجهاً للشعراء تجاه الخير والفلاح والصلاح والقيم والمبادئ .

---

(١) العمدة– دار الجيل – ج١ ص٥٣ .
(٢) طبقات فحول الشعراء – دار النهضة العربية – ص٥٥ .
(٣) صحيح مسلم – كتاب الشعر – ط دار الحديث – القاهرة – ط الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م ج٨ ، ص١٥ ، حديث رقم ٦ .
(٤) العمدة– دار الجيل – ج ١ ص٢٧ .

المبحث الخامس

الرد على قولهم بتناقض القرآن مع الحديث

قبل أن نوضح أنه لا يوجد تناقض بين الكتاب والسنة فى مسألة الشعر ، وموقف الإسلام منه ، نودّ أن نعرّج على حديث واحدٍ ورد فى ذم الشعر ، واتخذه المعادين للإسلام ذريعة يريدون من خلالها أن يتجنوا على الإسلام ، متهمين إياه بتحريم الشعر عامة . ولم يشفع للإسلام عندهم لا آية الشعراء كاملة ، ولا الأحاديث التى ذكرناها وأوردناها فى الصفحات السابقة ، والتى رويت فى الصحاح – البخارى ومسلم – والتى بيّنا من خلالها أن النبى ﷺ قد اهتم بالشعراء ودعاهم للذود عنه ، وعن دين الله .

والحديث كما رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال :" بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا الشيطان ، أو أمسكوا الشيطان ، لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً "[١] .

" فقوله شعراً ظاهره العموم فى كل شعر لكنه مخصوص بما لم يكن مدحاً حقاً كمدح الله ورسوله وما اشتمل على الذكر والزهد وسائر المواعظ"[٢] .

ولأهل العلم تأويلات كثيرة لمعالجة هذا الحديث ليتفق مع الأحاديث التى أوردناها فى مدح الشعر. من هؤلاء "السهيلى" " ذكر السهيلى فى غزوة ودان عن جامع بن وهب أنه روى فيه أن عائشة رضى الله عنها تأولت فى هذا الحديث على ماهجى به النبى ﷺ وأنكرت على من حمله على العموم فى جميع الشعر"[٣]

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الشعر – ط دار الحديث –القاهرة – ج٨ ص١٦ حديث رقم ٢٢٥٩ .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى – أحمد بن على بن حجرأبو الفضل العسقلانى – دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ ج ١٠ ،ص٥٤٩ .
(٣) فتح البارى – ج ١٠ص٥٤٩ .

كما اعتمد البعض الآخر على الحديث الذى رواه جابر ، فعند " أبى يعلى من حديث جابر فى الحديث المذكور قيحاً أو دماً خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً هجيت به ... وفى رواية ابن الكلبى عن أبى صالح عن أبى هريرة مثل حديث الباب قال فقالت عائشة لم يحفظ إنما قال من أن يمتلئ شعراً هجيت به " (١).

وذكر بعضهم " أن معنى قوله خير له من أن يمتلئ شعراً يعنى الشعر الذى هجى به النبى ﷺ " (٢) .

ولقد أولَّ بعض أهل العلم الحديث الذى صح عن النبى ﷺ ، ذلك لأنهم أرادوا أن يسموا ما ذهبت إليه عائشة رضى الله عنها بالضعف . فقال أبو عبيد " وجهه عندى أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه فأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوفه ممتلئاً من الشعر" (٣) .

هذا ولقد ألحق ابن أبى حمزة " بامتلاء الجوف بالشعر المذموم حتى يشغله عما عداه من الواجبات والمستحبات والامتلاء من السجع مثلاً ومن كل علم مذموم كالسحر وغير ذلك من العلوم التى تقسى القلب وتشغله عن الله تعالى وتحدث الشكوك فى الاعتقاد. " (٤) .

وذهب ابن الحجر إلى أن الذين"خوطبوا بذلك كانوا فى غاية الإقبال على الشعر والاشتغال به فزجرهم عنه ليقبلوا على القرآن وعلى ذكر الله تعالى وعبادته فمن أخذ من ذلك ما أمر به لم يضره ما بقى عنده مما سوى ذلك" (٥) .

---

(١) فتح البارى – ج١٠ ص٥٤٩ .
(٢) فتح البارى – ج١٠ ص٥٤٩ .
(٣) فتح البارى – ج١٠ ص٥٤٩ .
(٤) فتح البارى – ج١٠ ص٥٥٠ .
(٥) فتح البارى – ج١٠ ص٥٥٠ .

" ولقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً) وفى هذا كناية عن الانشغال بقول الشعر وروايته بحيث لا يتفرغ لشئ سواه "[١] .

من خلال ذلك يتبين لنا أن الشعر المذموم هو الشعر الذى يحارب الإسلام ، ويتعدى بالقول على نبى الله ﷺ .

من خلال كل ماسبق يتضح لنا أن الإسلام ممثلاً فى كتاب الله تبارك وتعالى ، وسنة نبيه ﷺ لم يحرما قول الشعر مطلقاً ، إنما هو لا يجوز للنبى ﷺ فقط حتى لا يُتهم بإمدادات الشياطين التى كانوا يعتقدون بها ، كما أنه لا يجوز لكل الشعراء ساعة أن يأتوا بكلمات مرفوضة لا تخضع لقيم الإسلام ومبادئه ، أكرر بعدم تعارض الكتاب والسنة تجاه النظرة إلى الشعر وقائله ، ذلك لأن القرآن مدح القائلين للشعر الذين آمنوا بالله ورسوله ، فدافعوا عن دين الله ، وعن رسوله ﷺ والذين يدعون إلى الخير والفضيلة ، ويحاربون الرزيلة والفساد ، ويدعون إلى ترسيخ وتثبيت العقيدة فى النفوس المؤمنة ، وعلى الجانب الآخر فقد شجعت السنة النبوية ممثلة فى النبى ﷺ على قول الشعر ، فقرب ﷺ الشعراء إليه ، واستمع لهم ، ودعاهم بنفسه للذود عن دين الله ، لكنهم شعراء من نوع معين ، شعراء استجابوا استجابة قوية لما أوحت به الآيات القرآنية لذا نجد أن " المسلمون عدلوا من اتجاه الشعر ووظفوه للدعوة المباركة وللمعانى الطيبة التى جاءت بها وللمثل العليا فى أخلاق المسلمين "[٢] .

---

(١) صحيح البخارى – الجامع الصغير المختصر – محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخارى – تحقيق د/مصطفى ديب أغا – دار ابن كثير– اليمامة – بيروت – ط٣، ١٤٠٧هـ ،١٩٨٧م – جـ٥ ص٢٢٧٩ – حديث٥٨٠٢ .

(٢) الأدب العربى فى صدر الإسلام – د/عبدالسلام عبدالحفيظ – ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م ص٦٤.

الخاتمة

الحمد لله حمداً يكافئ نعمه ، حمداً كما ينبغي لجلاله ، ويليق بعظيم سلطانه والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

وبعد..

فقد انتهيت بفضل الله تبارك وتعالى من إعداد هذا البحث والذي تناولت فيه "نظرة الإسلام للشعر من خلال الكتاب والسنة " ، ولقد تحدثت في بدايته عن وجهة النظر الخاصة تجاه الحاقدين على الإسلام ، وذلك من خلال المقدمة ، ثم تحدثت من خلال التمهيد عن مكانة الأدب فى فترة التشريع ، كما تناولت فى المباحث المتتالية موقف الإسلام من الشعر من خلال الكتاب والسنة .

وخلاصة القول هى :-

" أن الإسلام لا يحارب الشعر لذاته ، وإنما يحارب الفاسد من مناهج الشعراء .. ذلك لأن الشعر بابٌ من أبواب الكلام ، وضربٌ من ضروبه ، فصالحه كصالح غيره من الكلام وهو مقبول ، وفاسده كفاسده وهو مرفوض. وما يُقال عن الشعر يُقال عن فنون الأدب الأخرى كالخطابة والقصة ، وغيرها"(١)

كل ذلك إن دلّ على شئ إنما يدل على أن الإسلام قد وضع الكلمة الطيبة التى يتحدث بها "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" فى مكانة مرموقة طالما خضعت للمقاييس التى وضعها الإسلام ، أى أنها إسلامية الطبع والطابع ، وهذا ما اتفق فى الدعوة إليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، كما وضحنا فى صفحات البحث السابقة.

أهم النتائج :

١ – للأدب مكانة فى فترة التشريع ، لكن الشعر له مكانة خاصة .

٢ – موقف الكتاب والسنة من الشعر لم يتعارضا كما تصور الحاقدون .

٣ – الشعر كان له دورٌ عظيم فى نشر الدعوة الإسلامية والذب والدفاع عن النبى ﷺ .

٤ – معرفة النبى ﷺ بالشعر وإن كان قد مُنع بأمر الله من قوله ، إلا أننا تبين لنا أنه ناقد ماهر

٥ – الإسلام لا يحارب الفن الراقى الهادف ، وإنما يحارب الفن المبتذل الذى يدعو إلى الرذيلة .

٦ – الإسلام لا يرفض الشعر بسبب عقيدة قائله ، وإنما يرفضه أو يقبله على حسب الكلمة ومكانتها من الشريعة ومن النفس الإنسانية .

---

(١) نحو مذهب إسلامى جديد – د/رأفت الباشا – ص٢٨ .

فهرس أهم المصادر أو المراجع

م	المصدر أو المرجع
١	الأدب العربى فى صدر الإسلام – د/عبدالسلام عبدالحفيظ – ١٤٠٥هـ-١٩٨٤.
٢	أُسد الغابة فى معرفة الصحابة– لابن الأثير–ط دار إحياء التراث العربى–بيروت .
٣	الإصابة فى تمييز الصحابة – شهاب الدين أبى الفضل العسقلانى المعروف بابن حجر – دار الكتب العلمية .
٤	الأغانى– لأبى فرج الأصفهانى – تحقيق / سمير جابر – ط دار الفكر بيروت– الطبعة الثانية .
٥	البيان والتبيين – للجاحظ – تحقيق / المحامى فوزى عطوى – طبع دار صعب – بيروت – ط الأولى ١٩٦٨م ، وتحقيق عبدالسلام هارون – دار الجيل – بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر .
٦	تفسير البحر المحيط – تأليف محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى،تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م، ط١،ج٧، ص٤٣،٤٥،٤٦ .
٧	تفسير البحر المديد – لابن عجيبة – ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م .
٨	تفسير الجلالين – جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى – دار الحديث – القاهرة – ط أولى .

م	المصدر أو المرجع
٩	تفسير الطبرى – جامع البيان فى تأويل القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى ، أبو جعفر الطبرى – تحقيق أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
١٠	تفسير القرآن العظيم – للإمام الحافظ عماد الدين ابى العذاء اسماعيل بن الكثير الدمشقى – تحقيق هانى الحاج – المكتبة التوفيقية – المجلد الثالث .
١١	تفسير النسفى – أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى – تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار – دار النفائس – بيروت ٢٠٠٥م .
١٢	سنن الترمذى– كتاب الأدب ، باب إنشاد الشعر ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
١٣	السيرة الحلبية فى سيرة الأمين والمأمون – على بن برهان الدين الحلبى – نشر دار المعرفة – بيروت ١٤٠٠ هـ .
١٤	سيرة النبى ﷺ لأبى محمد عبد الملك بن هشام – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة دار التراث .
١٥	الشعر والشعراء – لابن قتيبة – تحقيق مفيد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط الثانية– ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م .
١٦	صحيح البخارى – الجامع الصغير المختصر – محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخارى – تحقيق د/مصطفى ديب أغا – دار ابن كثير– اليمامة – بيروت – ط الثالثة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

م	المصدر أو المرجع
١٧	صحيح مسلم – تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقى – كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت – دار إحياء التراث العربى، بيروت ، وطبعة دار الحديث – القاهرة ط الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م .
١٨	صحيح مسلم بشرح النووى – تحقيق عصام الصبابطى –حازم محمد وعماد عامر – المجلد الثامن – دار الحديث بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .
١٩	طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحى – تحقيق / محمود محمد شاكر– نشر دار المدنى بجدة .
٢٠	العقد الفريد – لابن عبدربه – ط دار إحياء التراث العربى – لبنان ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م – ط الثالثة .
٢١	العمدة لابن رشيق – تحقيق /محمد محى الدين عبدالحميد – دار الجيل، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
٢٢	فتح البارى شرح صحيح البخارى – أحمد بن على بن حجرأبو الفضل العسقلانى – دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ .
٢٣	كتاب الحيوان للجاحظ – تحقيق/عبد السلام هارون – ط دار الجيل – بيروت ١٤١٦ هـ–١٩٩٦م .
٢٤	مختصر صحيح مسلم – تحقيق / محمد ناصر الدين الألبانى – كتاب الشعر وغيره – باب فى الشعر وإنشاده – المكتب الإسلامى – ط الخامسة – ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

م	المصدر أو المرجع
٢٥	المزهر فى علوم اللغة وأنواعها – عبدالرحمن جلال الدين السيوطى – تحقيق/ فؤاد على منصور – ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٩٩٨م – النوع التاسع والأربعون ، وطبعة الباب الحلبى– دار إحياء الكتب العربية .
٢٦	مسند أحمد–مسند القبائل – حديث كعب بن مالك – طبعة مؤسسة قرطبة – القاهرة
٢٧	المعجم الكبير للطبرانى – باب الشين – الشريد بن سويد الثقفى – تحقيق / حمدى عبدالمجيد السلفى– طبعة مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، ط الثانية ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م .
٢٨	نحو مذهب إسلامى جديد فى الأدب والنقد – د/عبد الرحمن رأفت الباشا–دار الأدب الإسلامى – ط ثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
٢٩	نهاية الأرب فى فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى ، السفر الثامن ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، مطبعة دار الكتب – ط الأولى ١٣٧٤هـ –١٩٥٥م .